كتاب اليوم - قطاع الثقافة

ألحان السماء

محمود السعدني



كتاب اليوم

يصدر عن دار أخبار اليوم أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

□ يناير ١٩٩٦ □

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٥	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٢٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	١٥٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٢٥ دولارا

أمريكيا أو ما يعادله

أوربا وأمريكا ٣٠ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

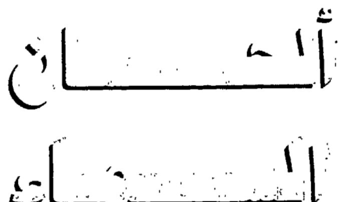
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠



محمود السعدنى

الغلاف بريشة الفنان :

سيد عبد الفتاح

مقدمة الكتاب

بقلم :
فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

●● استمع فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى إلى فصول هذا الكتاب، قرأها عليه واحد من مريديه، فأبدى إعجابه بما جاء فيه، وأثنى على كاتبه ودعا له بالتوفيق والسداد.

ولما طلب منه مريدوه أن يكتب مقدمة للكتاب، رحب على الفور، وكتب هذه الكلمات الطيبات ●●

« ما أحسن ماسمعت، وما أروع مادعيت إليه، وما أروع استجابتى له.

فالكاتب القدير الأستاذ محمود السعدنى، الذى طوف بأدبه وفكره ماطوف، وأثرى المكتبة الأدبية والسياسية بما خلف، أهل لأن يجعل الله لدينه نصيبا من أدبه، وحظا من قلمه.

فهنيئا له حين يتوج رحلته القلمية بهذا الشرف العالى، الذى عاش فيه مع كتاب الله، وبدأه بأول مرحلة فيه، وهى الصوت الذى نطق، بعد الأذن التى استمعت، وأشاعت أنغام الجلال، فى آذان الخلق جميعا.

ولقد كان الناس يحسبونه فى أقل منازل الدين واليقين، لأنهم يرون فى غيرهم أعلام علماء، وفحول مُعْلَّمينَ معلِّمين.

وقد ارتضى هؤلاء الكبار، أن يكون حظهم من المجتمع فى هذه المكانة، وارتضوا أن تكون مكانتهم عند الله، لأنهم الصدى الحلو

من كلام الله.وحسبهم أنهم كانوا جنودا لكلمة الله: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فهؤلاء من جنود الحفظ، وقادة التحفيظ، ومنهم استقبل العلماء مافسروا، وأخذ الفقهاء عنهم ماالجتهدوا، وأخذ الأدباء منهم ماديجوا به عيون المقال، وفصل الخطاب.

فهنيئا لهم أولا، وهنيئا للكاتب الذى رفع اعتبارهم فوق كل اعتبار، وجعل كل متكلم فى الدين، لايتكلم إلا بحجة مأأخذ عنهم، وبانضباط ماتلقى منهم، فهم الذين صححوا لكل لسان كيف يتكلم بالقرآن.

إن هذه الكتيبة من القراء الذين شدوا بألحان السماء، وبتأليف الله لهم، لم يكونوا مكررين لا أداء، ولا أصواتا، ولا لحنا، بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص.

فمنهم قمة الأحكام كالحصرى مثلا، ومنهم قمة الصوت الجميل كعبد الباسط، ومنهم قمة الفن الرفيع الرائع، المستحيل الجميل، كمصطفى إسماعيل، ومنهم جامع كل ذلك فى ائتلاف لايرتفع فيه فن على فن كالشيخ محمد رفعت، فهو كل هؤلاء جميعا، ويزيد أنه عالم بما يقرأ، تستطيع أن تفهمه بمجرد نطقه للكلمة، ولمحبيه - فى عصره - حكايات عن هذا الفهم الرائع لما كان يقرأ فى مسجد فاضل بدرب الجماميز.

فرحمهم الله جميعا ، ورضى عنهم، وجعل منهم أسوة للجيل القادم، لايستنكفون أن يكونوا كما تسميهم العامة «فقهاء» وهم فى الحق «فقهاء» بمفهوم الخاصة.

ورعى الله الأستاذ السعدنى وجعل ماقدم فيهم تاجا لما قدم فى سواهم، فسواهم خدم كلام الناس، وهؤلاء خدموا كلام الله.

بارك الله فيك يا محمود، وبارك منك، لتكون أسوة لإخوانك، فرسان القلم، ليجعلوا من كتاباتهم جانبا لله، فذلك خير وأبقى.

محمد متولى الشعراوى

فى البدء كانت الكلمة !

محمود السعدنى

هذا الكتاب ـ ألحان السماء ـ صدر أول مرة فى أول أبريل عام ١٩٥٩.. وقبل موعد صدوره بعدة أيام كان العبد لله يقيم فى سجن القلعة متهما بالشيوعية! ولم تتح الفرصة للعبد لله للاطلاع على الكتاب أو الاحتفاظ بنسخة من نسخه، لأن جميع النسخ اختفت من الأسواق خلال شهر رمضان.. ولم أتمكن من الحصول على نسخة من الكتاب إلا بعد ذلك بسنوات ومن فوق سور الأزبكية.. وحتى هذه النسخة ضاعت منى بعد ذلك، واضطررت إلى نشر بيان ناشدت فيه القراء الذين يحتفظون بنسخة من الكتاب أن يرسلوها لى شاكرين.

وتفضل أحد القراء فأرسل لى نسخة من الكتاب، واكتشفت بعد النظرة الأولى أنها فقدت بعض صفحاتها، وأن الزمن أكل الرسوم والنقوش التى كانت على الغلاف.

وبعد فترة تلقيت صورة من الكتاب أرسلها لى مشكورا الشيخ أحمد الرزيقى.. القارىء المعروف.. ولم أفكر فى إعادة طبع الكتاب إلا بعد رحلة السياحة الطويلة التى قمت بها مرغما خارج مصر، وبعد أن اكتشفت خلال الطواف بأنحاء العالم العربى، كم هو ثمين هذا الكنز الذى وهبنا الله إياه، متمثلا فى هذا الفن العظيم، فن قراءة القرآن الكريم.

واكتشفت خارج الحدود السر وراء الطلب الذى تقدم به الملك محمد الخامس إلى السلطات الفرنسية وهو فى منفاه الإجبارى للسماح له بالاحتفاظ بعدة أسطوانات للشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

واكتشفت السر وراء استدعاء الشيخ الشعشاعى وزميله الشيخ شعيشع إلى بغداد لإحياء ليالى مأتم الملك غازى ملك العراق.

واكتشفت السر وراء إصرار عثمان حيدر آباد أحد أمراء الهند العظام وأحد أثرياء العالم فى عصره على دعوة شيخ القراء الشيخ محمد رفعت لإحياء ليالى شهر رمضان فى قصره العظيم ومقابل أى كمية من الذهب يطلبها الشيخ رفعت.

وبعد عودتى إلى مصر هالنى مدى الفرق الرهيب بين مشايخ الأربعينات والخمسينات والستينات وبين مانسمعه الآن، خصوصا السادة المشايخ الذين احترفوا تلاوة القرآن فى جهاز التليفزيون.. أصوات ملساء وأخرى صلعاء، وأغلبها بلا نبض ولا إحساس.

ما الذى جرى ؟ وكيف تغيرت الأحوال ؟ ولماذا انحدر المستوى على هذا النحو الذى لم يكن يتوقعه أحد على الإطلاق ؟ أين لجان الاستماع بأجهزة الاعلام؟ أين الأساتذة الكبار الذين كانوا حجة فى علم القراءات، كالشيخ محمد الصيفى والشيخ محمد الفيومى والشيخ منصور الشامى الدمنهورى ؟ أين أصحاب الحناجر الذهبية التى كانت تحلق بأفئدة الناس إلى السماوات العلا؟ كالشيخ منصور بدار والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد؟ أين المشايخ العظام الذين قدموا ألوانا من فن التلاوة كتب لها الخلود مع الأيام ؟ أين الشيخ الشعشاعى والشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ

محمد صديق المنشاوى والشيخ محمود على البنا والشيخ فريد السنديونى والشيخ محمود عبدالحكم ؟

وهناك أكذوبة ضخمة تتردد هنا وهناك اختلقتها وأشاعتها جماعات الإرهاب، التى ترفع شعارات دينية، أكذوبة تقول : إن الصوت الجميل يتعارض معا القراءة الشرعية.. وهى أكذوبة بلا جدال، لأن سيد الخلق جميعا ونبى الإسلام ورسول الله إلى الناس جميعا سيدنا محمد بن عبدالله كان له رأى يختلف عن رأى جماعات الإرهاب.

فقد عزم الرسول الكريم على تعليق جرس كبير فوق سطح أول مسجد أقيم فى الإسلام.. وبينما الصحابة منهمكون فى رفع الجرس فوق سطح المسجد، إذ جاء أحد الصحابة وقال للرسول : يارسول الله: لقد رأيت فيما يرى النائم أننى أصعد على سطح هذا المسجد وأنادى المسلمين للصلاة بدعاء، وراح الرجل يردد الدعاء الذى رآه فى المنام: « الله .. أكبر الله.. أشهد أن لاإله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمدا رسول الله.. حى على الصلاة.. حى على الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله»..

وبدت السعادة على وجه الرسول الكريم وقال للرجل.. نعم مارأيت. وتهللت أسارير الرجل وتوجه قاصدا الصعود على سطح المسجد ليؤذن للصلاة. ولكن الرسول الكريم استوقف الرجل بحزم وقال له: دع بلالا يؤذن، انه اندى منك صوتا.

هذا قانون من قوانين الاسلام وضعه الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه، قانون يمنع الجمع بين وظيفتين فى وقت واحد، فمن حق هذا المسلم أن يحلم وهو مأجور على حلمه الجميل، ولكن يؤذن؟ فلا وألف لا. لأن رفع الآذان وظيفة سيدنا بلال، ولسبب بسيط، هو أنه اندى صوتا، وبعبارة أخرى، صوته أجمل وأمتع!

وإذا كان هذا هو حكم رسول الله ونبى الاسلام، فمن هو هذا الذى من حقه أن يحكم بعد ذلك؟

كان الشيخ على محمود يرحمه الله يـرفع الآذان من فوق مأذنة سيـدنـا الحسين فيجتمع عشرات الألوف فى الميـدان لـلاستماع إلى أذان الشيخ، واليوم نستمع إلى عشرات الميكـرفونـات عبر الشوارع والساحات، فنتمنى ان نهاجر بعيـدا عن هذه الأصوات. كان الشيخ على محمـود ينفذ وصيـة رسول الله، وهـؤلاء السادة من أصحـاب الأصوات القبيحة يتحدون رسول الله ويخالفون وصيته.

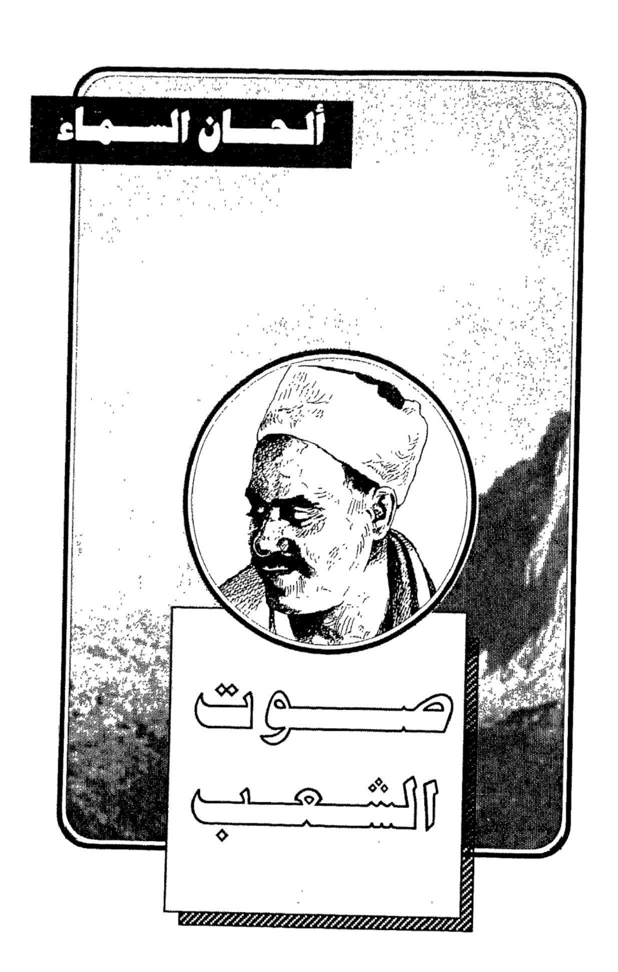
وكان لابـد من اصدار هذه الطبعـة الجديدة من الكتـاب. وهناك قضيـة أخرى.. فقـد كنت أعلم وأنـا أشرع فى كتـابـة سطور هـذا الكتاب اننى أخوض فى حقل الغام. والسبب ان السادة المشاهير من قـراء القـرآن صـاروا كنـوادى كـرة القـدم، لكل منهم معجبـون ومتعصبون وأنصار. ولقد حدث ماتـوقعته بالتمام والكمال، عندما هاجمت الشيخ الطبـلاوى لجهله وضيق أفقـه وعدم اعترافـه بأحد غيره من القراء، اتصل بالحاج إبراهيم نـافع وهمس له بأنه يخشى أن يكـون وراء الهجـوم عليـه القارىء الـدكتـور نعينع. وعنـدمـا وصفت الشيخ نعينع بما يغضبـه ويـرضى الله، اتصل بـالصـديق اللـواء عبـدالحليم موسى وهمس لـه بأنـه يخشى أن يكـون وراء الهجـوم عليه الشيخ الطبـلاوى. أما الشيخ الطبـلاوى فقد لقنتـه درسـا لاأعتقد انـه سينسـاه، عندمـا اتصل بى تليفـونيـا معاتبـا، فأغرقته فى بحر من الأدب الرقيـع ومن بحر الشاعر الكبير الحطيئة ومن بحر أجـداده وأحفاده وإلى آخـر العنقود الشـاعر عبـدالحميد الديب. أمـا الدكتـور نعينع فلم أظفر بـه بعد، وأرجـو أن يلهمه الله فيتصل بى شفـاهة أو تحريـرا وأرجـو أن يقوينى الله لكى أجعلـه يفهم انه ليس كل الخيل يصلح للرهان!

كما انهالت على العبدلله عشرات الخطابات من القراء، كل قارىء يريد من العبدلله أن يضع قارئه المفضل على رأس قائمة القراء.

وسأكتفى فى هـذا الكتاب بعرض نموذج واحد من هذه الخطابات واخترته لعدة أسباب من بينها ان صاحب الخطاب يعيش فى البرازيل واسمه يحيى عاصم، كما انه يبدو من سطوره سميع قديم ومن أنصار الشيخ كامل يوسف البهتيمى. وهو غاضب لأننى حشرت الشيخ الشعشاعى والشيخ الحصرى بين عمالقة القراء ، كما انه زعلان لأننى تجاهلت الشيخة سكينة حسن، وهى فى رأيه السيدة الأولى وربما السيدة الوحيدة التى نقشت اسمها على صفحات فن تلاوة القرآن الكريم.

على العموم. هذا هو كتابى : « ألحان السماء » بين أيديكم، وأرجو أن أكون قد أديت الأمانة، وكما ينبغى أن تكون. وأرجو أن يكون للعبدلله أجر المجتهد، وفى الاسلام للمجتهد المخطىء أجر واحد وللمجتهد المصيب أجران. وألف رحمة ونور على المشايخ الكبار الذين سبقونا إلى رحاب الله. ونسأل الله التوفيق للمشايخ الذين على قيد الحياة!

محمود السعدنى


ألحان السماء
صوت الشعب

الأصوات كالوجوه لكل منهـا سحنة خاصة ! هناك أصوات تنفر منها .

وأصـوات تـدخل السرور عليك، وأصوات تـرتـاح إليها ، وأصـوات تجعلـك ـ بالرغم منــك ـ تعشقها وتحبها .

والأصوات كـالمعادن بعضـها كـالصفيح، وبعضـها كـالفضة وبعضـهـا له بـريق الـذهب، وبعضها لـه رنينه، ويندر جداً .. أن يكون الصوت من ذهب .

من هذه الأصوات الـذهبية صوت الشيخ مصطفى إسماعيل، وفى الماضـى القـريب كـان صـوت الشيخ منصور بـدّار، الذى اعتزل القـراءة وآثر الـراحة فى قريته .

ولكن هنـاك من بين الأصـوات التى سمعناهـا ـ ومـا أكثرهـا ـ صوت يقف فريداً غريباً بـاهراً ، وسر غرابتـه ـ فى رأى العبـد لله ـ أنه استمـد طبيعته من جـذور الأرض ، إنه صـوت المرحوم الشيخ محمد رفعت .. صوت الشعب .. فمـن أصوات الشحاذين والمداحين والندابين والبـاعة الجائلين ، استمـد المرحوم الشيخ محمـد رفعت صوتـه . فخرج مشحـونا بـالأمل والألم، مرتعشـا بالخوف والقلق عنيفـا .. عنف المعـارك التى خـاضها الشعـب، عريضـا .. عـرض

الحياة التى يتمناها .. ولذلك كتب لهذا الصوت البقاء وسيظل إحدى علامات الطريق فى تاريخنا الفنى الطويل .

ولقد نشأ الشيخ محمد رفعت فى حى شعبى ومات فيه، وفى حى البغالة والسيدة زينب اصطخبت بأسماع الفتى الضرير الصغير أصوات كثيرة، استطاع أن يخزن منها ذخيرة ضخمة، واستطاع بعد ذلك أن يمضغها ويهضمها وأن يستخرج منها فى النهاية صوته الخالد الذى نفذ إلى أعماق الناس فأبكاهم وأشجاهم .. وهزهم هزاً.. ولا يهز أعماق الناس كالحقيقة والصدق. ولقد كان الشيخ صادقا فى إنفعاله، وكانت طبقات صوته ونغماته حقيقية مأخوذة من واقع الناس، ومن فنونهم، من أسواقهم وندواتهم وأفراحهم البسيطة.. وأحزانهم العنيفة.. ومعاركهم القاسية مع الحياة .

ولكن الفنان العملاق رفعت لم يقنع بدراسة فنون البسطاء، بل راح ينهل من الفن الموسيقى الرفيع، وعندما مات خلف ثروة كبيرة من اسطوانات باخ وموزارت وبيتهوفن وليست، وعدة اسطوانات أخرى للعازف الكبير باجانينى، وكان رفعت يقضى أمسيات طويلة مع هؤلاء العباقرة الأفذاذ يستمع إلى النغم الرائع الذى أبدعوه فظل مخلدا على الزمان .

ومن الدراسة الشاقة الطويلة للنغم الرائع وفنون الشعب، استطاع رفعت أن يبقى فى عالم الفنون راسخا كالهرم، خالدا كرسالات الأنبياء .

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يقترن ظهور الشيخ محمد رفعت بظهور عبقرى من نفس الطراز هو الشيخ سيد درويش، لم تكن مصادفة ، فقد كان الشعب قد اكتمل وعيه ونموه وترجم هذا الوعى وهذا النمو بثورة ١٩١٩، وفى خلال الثورة كان سعد زغلول يمثل روح الشعب الصلبة القوية المصممة على السير فى

الطريق الذى بدأه حتى النهاية ، وراح سيد درويش يلحن صيحات الشعب السياسية والاجتماعية، وراح رفعت يلحن حياة الشعب الروحية .

ليست هذه مبالغة، فسيد درويش ورفعت كانا زعيمين من طراز سعد، وكما التقت طبقات الأمة وطوائفها حول سعد، وكما طربت لسيد درويش، تراها ـ وهنا العجب ـ تلتف حول رفعت بطوائفها، فلم يحدث قط قبل رفعت أن استمع أقباط مصر إلى قارىء، بل إن استماعهم إليه كان بشغف وبحب وبإعجاب شديد .

بل إن عظمة رفعت امتدت إلى خارج هذه الحدود، فقصة الضابط الكندى الذى انتهز فرصة وجوده فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية، وطلب من مدير الاذاعة أن يسهل له مقابلة رفعت، وعندما التقى به بكى الضابط الكندى وقال : لم أكن أعلم أنه أعمى، والآن عرفت سر الألم العظيم الذى يفيض به صوته العبقرى .

وحكايات أخرى كالأساطير شاعت عن الشيخ وذاعت .. وقصة الثورة التى أعلنها المستمعون عندما نشب خلاف بين رفعت ومحطة الاذاعة، حتى إن بعضهم هدد بعدم الاستماع إلى الراديو بالمرة، وهدد البعض الآخر بعدم دفع الضريبة إذا لم تخضع الاذاعة لرغبات رفعت العظيم، وقصة أبخل وأغنى رجل فى العالم عثمان حيدر أباد الذى طلب من العبقرى الشيخ أن يحضر إلى الهند مع « حاشيته » وبأجر مائة جنيه فى اليوم الواحد مع التكفل بنفقات الرحلة والاقامة من جيب الثرى البخيل، وتقول الحكاية أو الأسطورة : إن رفعت رفض عرض الرجل وفضل إحياء ليالى الفقراء بالمجان .

والعبد لله شخصيا لا يعرف إذا كانت هذه القصص حقيقية أم من نسج الخيال. ولكنها على أية حال ترينا كيف أصبح رفعت

بطلا شعبيا مثل عنترة وأبوزيد الهلالى ينسـج الناس حوله قصصا خرافية، ولكنها فى الوقت نفسه تترجـم مشاعر الناس البسطاء نحو الرجل العظيم، وعنـدما كان رفعت حيـا يقرأ فى جامع فاضل بـاشا لم يكن أحـد من المستمعين يتصـايـح أو يـرفع عقيرتـه بعبـارات الطـرب والانسجام. كما يفعل المستمعـون اليوم مع المشـاهير من القـراء .. كـان فن رفعت الأصيل يجبرهم على الصمت ويقيـدهم فى أمكـانهم، يحتملون أحيـانـا فوق طـاقتهم من ضيق المكـان، ومن حرارة الجو ليستمتعوا بالصوت العبقرى العظيم .

هذه الحقيقـة البسيطة تكفـى وحدهـا ـ دون حـاجة لـلأساطير للدلالة على عبقرية صوته الغريب .

وحقيقـة أخرى أبلغ دلالـة، فالغـالبية العظمى من الأشرطـة التى تـذاع اليوم للشيخ محـمـد رفعت لم يكن لـلاذاعة فضل فيهـا ، بل الفضل كلـه يرجع إلى عشـاق الشيـخ الذين لم يـكونوا على صـلة صـداقة أو معرفـة بالشيخ. بل دفعهم الحب الصـادق والاعتراف بعبقرية صاحب الصوت إلى تسجيـل كل سور القرآن دون ماهدف إلا هدف الاحتفاظ بهذا التراث الخالد ،العظيـم فنرى أحد البشوات هو زكريا مهـران يحتفظ بتسجيلات الشيخ دون أن يكون قد رأى الشيخ مرة فى حياته .

وهنـاك تـاجـر وطنى كبير، ومـوظـف سـابق، وعمـدة من عمـد الأريـاف يحتفظـون بنفس الشىء لأنهم أدركـوا بفطـرتهم الفنيـة السليمة أن هذا الشىء يجب الاحتفاظ به .. لأنه ثمين .

دليل الحكايات الخيالية والحكـايات التى حدثت فعلا دليل خطير خلاصته أن هذا الشعب الذى ظلمناه طـويلا ولايزال بعض أدبائنا الكبار وفنانينا الكبـار ـ الكبار سنا ـ يتهمونـه بفساد الذوق وعدم التقـديـر وعـدم الإحسـاس الفنـى. شعب أصيل. أصيل فى وعيـه،

أصيل فى تـذوقه، وتقـديره للفن.. على شرط أن يكـون فنا حقيقيـا يستحق التقدير .

وقد يقول قائل: ربما كان التقدير الذى حظى به رفعت راجعا إلى حب الناس وتقديرهم للديـن، وهو قول غير صحيح .. فقد كان مع رفعت مجمـوعة من القـراء لا يمكن حصرها .. ولا تجاهلهـا، وكان من بينهم عباقـرة لمعوا فجأة ثم طـواهم النسيان، ولم يبق من بين الجموع الحاشدة إلا رفعت وحـده خير شاهد على أن الفن الأصيل يبقى .. وما عداه يزول !

وحتى بعـد مـوت رفعت، وبعـد أن ضـاع أخلـد أعمالـه .. وهـو صوتـه، وبقيت عدة أشرطة قـديمة سيئـة التسجيل، بعضها يسىء إلى رفعت أكثر مما يحسن إليه، رغم هـذا كله. فقد أثبت الشعب أنه وفىّ وفاء منقطع النظير .

مثلا .. وهذه حقيقة وليست خرافة. أقسم أحد كبار الجزارين أن جسد العبقرى لن يدفن إلا فى المقبرة التى أعدها له، وكان قد أعد فى صمت وبـلا ضجيج مقبرة عظيمـة تليق بعظمـة الـراحل الكـريم، وأصر الجزار الطيب على أن يحمل نعش الشيخ بنفســه إلى مثـواه الأخير .

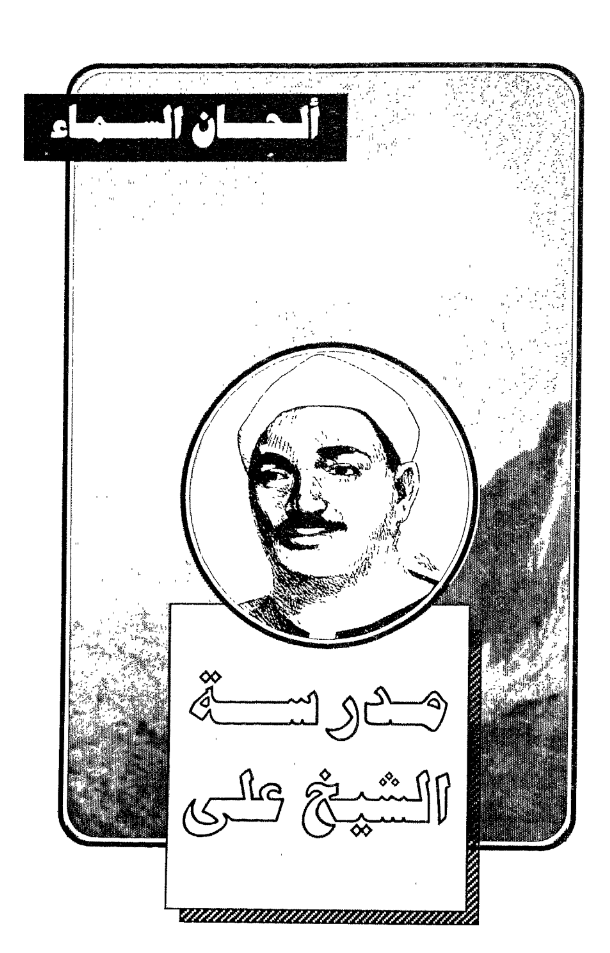
ووفد على ماتم الشيخ آلاف مـن مختلف أنحاء البلاد لم تكن لهم صلات بالشيخ إلا صلة التقدير والاعجاب .

ولكن مفتى ســوريـــا عنـدمـا سمع الخبر قـــال ولحيتـه مبللـة بـالدمـوع: رحم اللـه شبابـه فقد جـدد شبـاب الإسلام، ولايـزال مجهـولون كثيرون يـزورون قبر الشيخ فى صمت ليقرأوا الفـاتحة على روح الفقيد. وإلى عهد قـريب كانت فى العاصمـة وأنحاء أخرى متفرقـة من البلاد مقاه تخصص لمستمعـى رفعت قاعات بـداخلها ليستمتعوا بما تبقى من فن الشيخ فى هدوء .

وقد حدث أن قطعت محطة الاذاعة إرسالها أكثر من مرة لتذيع على الناس بشرى العثور على شريط جديد للشيخ. ويذاع الشريط. ويكون حديث الناس فى كل مكان. وسيظل رفعت حديث الأجيال كفنان عملاق إلى زمن بعيد .

وسيأتى يوم تصبح فيه للفنون الرفيعة الخالدة جامعة، ويكون صوت محمد رفعت على رأس هذه الفنون، والسبب ـ كما أوضحنا من قبل ـ هو أن كل فن خالد جميل يجب أن يستمد وجوده من حياة الناس من فنون الشعب .

ولقد كتبت مرة سابقة عن رفعت، فقلت: إن سبب خلوده يرجع إلى أن صوته كان من السماء، والآن اعترف بخطئى وأعود فأقول : إن سر خلود الشيخ يرجع لسبب واحد . أن صوته العبقرى نبع من آمال الناس والآمهم من أسواقهم وحواريهم . ومن أفراحهم الساذجة، وأحزانهم العنيفة، بعبارة أبسط .. لقد كان صوته من جذور الأرض، كان صوته هو صوت الشعب !


ألحان السماء
مدرسة
الشيخ على

كان لسعد زغلول قارىء خاص هو الشيخ محمود البربرى، وكان سعد زغلول لا يرتاح لسماع أحد سواه، وكان الشيخ البربرى يلقب نفسه «بمقرىء سعد»، ولعله كان القارىء الوحيد الذى لم يكن يلحن فى تلاوته، كان يقرأ القرآن وكأنه يتحدث، وكان يصف تلاوته بأنها القراءة الشرعية الصحيحة .

وكان مغرما بالإعادة .. ولذلك كان يظل أحيانا ساعة كاملة لا يقرأ سوى آيات قليلة. فى عام ١٩١٩ .. اشترك قراء القرآن فى المعركة .

كان الشيخ منصور بدّار يتلو القرآن كل مساء فى الجامع الأزهر .. والشيخ محمود البربرى يقضى أياما بائسة فى السجن، فقد اعتقله الانجليز بتهمة أنه صديق لسعد زغلول، وأنه كان يؤدى له خدمات وطنية، وكان الانجليز على حق، فقد كان الشيخ البربرى يخفى كل مساء وهو خارج من بيت الأمة آلاف المنشورات تحت ردائه الدينى الفضفاض، وذات مساء اكتشف الانجليز السر عندما كان الشيخ

البربرى.. يجتاز بوابـة « بيت الأمة »، وقد نسى إحكام إغلاق جبته وانهالت من داخلهـا مئات المنشورات على الأرض .

وفى السجن كان الشيخ البربرى يجمع حـوله كل المسجونين بتهمة الوطنية.. ويظل الساعات الطـوال يقرأ لهم بصوته الشجى حتى أقلق ذلك خاطـر الإنجليز فحبسوه فى زنـزانة منفـردة.. ولكن هذا لم يمنع الشيخ البربرى مـن مواصلة القـراءة وهو داخل الـزنزانـة، وبصوت أعلى ليتمكن كل من فى السجن من سماعـه، وظل الشيخ البربرى يقـرأ فى ذكرى سعد كل عام حتى مات، وربح فى حياته كثيرا ولم يترك خلفه شيئـا، وعندمـا نفى سعـد إلى مالطـة، قـدم الـرجل نفسه لسلطـات الاحتـلال طـالبا نفيـه مع الـزعيم ليقـرأ له القـرآن هنـاك، ورفضت سلطـات الاحتلال عـرض الشيخ البربـرى، ولم يكتف بهذا، بل راحت تطارده فى رزقـه، وكان المأتم الذى يسهـر فيه تحيطه دائما مجمـوعة من جواسيس الإنجليز، واستغل الوطنيون الفـرصة فكانوا يستدعون الشيخ البربرى ـــ عدو الإنجليز ـــ دائما فى مآتمهم، بل كانـوا يقيمون أحيانا مآتم وهمية ليسهر فيها الشيخ نكاية فى الإنجليز..

ومات الشيخ البربرى بعد أن عمر طويلا.. وكان على رأس المشيعين لجنازته مكـرم عبيد.. فقد كان تلميذا له فى أيـام مضت.. أيام الثورة.. وقليلون يعـرفون أن مكـرم عبيد كـان يقرأ القـرآن وبطريقـة الشيخ محمود البربرى، ولم يكن للشيخ تلاميـذ سوى رجلين، أحدهما مكرم عبيد، والثـانى كان يقـرأ القرآن فى جـامع الخازندار، وبنفس طـريقة الشيخ البربرى.. واسمه الشيخ سعيد نور.

●●●

قصة كفـاح الفتى الريفى الصغير الذى هـاجر من قريتـه شعشاع بـالمنوفيـة إلى القاهـرة عام ١٩١٥، ليقـرأ القرآن فيهـا بصوت قـوى

جميل، قصة حافلة تستحق التسجيل، ومنذ ذلك العام، عام ١٩١٥، والشيخ الشعشاعى يقرأ باستمرار، وهو يصعد السلم درجة درجة.. حتى بلغ فى النهاية آخر درجات السلم وحوله هالة ضخمة من المجد، وفى يمينه ثروة طائلة عبارة عن مجموعة من الأسطوانات بصوته القوى، ومجموعة أخرى من الأسطوانات بأصوات العباقرة الذين عاصروه.

بدأ الشيخ الشعشاعى مع أحمد ندا وعلى محمود ومحمد رفعت ومحمد الصيفى، وبدأ مثلهم بأجر خمسين قرشا فى الليلة الواحدة، وشهد خلال تاريخه الطويل أياما حافلة، قرأ فى مأتم ثروت وعدلى وسعد زغلول ومحمد محمود وأحمد ماهر والنقراشى، واشترك مع ثلاثة غيره فى إحياء ليالى مأتم الملك فؤاد، وطار من مصر إلى العراق ليقرأ فى مأتم الملكة الأم، وبدعوة من الحكومة العراقية.

واشترك مع الشيخ محمد رفعت فى آخر ليلة للشيخ رفعت قبل أن يدهمه المرض الخطير الذى قضى عليه، وأتيحت له فرصة لم تتح لغيره من القراء، فقد أدى فريضة الحج ، وقرأ القرآن بعد صلاة المغرب فى الحرم النبوى، وكان المسجد النبوى يضيق بمئات الألوف من المصلين من كافة أنحاء العالم الإسلامى.

وقد أذاع الشيخ من جميع محطات الإذاعة العربية فى العالم، وهو يقرأ سورة الكهف أسبوعيا ــ كل يوم جمعة ــ فى مسجد السيدة زينب، وهناك كثيرون من القراء الجدد الذين يتعصبون للشيخ ويفضلون صوته على جميع الأصوات، وكان الشيخ الشعشاعى يتساوى فى المرتبة والأجر مع الشيخ رفعت، والشيخ على محمود، وكان أجرهم ٢٥ جنيها فى الساعة، و١٠٠ جنيه فى الليلة، ومع ذلك ابتعد الشيخ الشعشاعى عن محطة الإذاعة المصرية فترة، لأن أحد موظفيها وجه إليه عبارة اعتبرها الشيخ إهانة له، والشيخ الشعشاعى

عاش طويـلا، وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بصـوته العميق القوى حتى مات، وكان باسـتطاعته ـ وبـدون مكبر صوت ـ أن يقـرأ فى عدة ألوف من الناس ولساعات طويلة دون أن يحس إرهاقا.

وللشيخ الشعشـاعى لون خـاص فى التلاوة فهـو لم يقلد أحـدا من القـراء الـذين سبقـوه، كما أنه لم يظهـر حتى الآن من حـاول تقليـد صوت الشيـخ، والسبب، هو أن الطريقـة التى يقرأ بها الشيـخ تحتاج إلى صوت قوى فتى.

ومأأنـدر الأصوات القـوية فى دولـة القراء، ولقـد سار ابنـه الشيخ إبراهيـم على طريق والـده، وقرأ بأسلـوبه عنـدما حل محلـه فى قراءة سورة الكهف يـوم الجمعة فى مسجد السيـدة زينب، ولكن الابن رغم تفوقه واجتهاده لم يصل إلى الذروة التى وصل إليها والده العظيم.

ولقد حاول البعض التفريق بين الشيخ رفعت والشيخ الشعشاعى، ولكن المحاولات كلها فشلت، وعندما سـألته بعد موت رفعت عن رأيه فى صـوت الشيخ، كان جـوابـه: صوت رفعت نـادر وكلنـا فى خدمـة القرآن.. وكان بسيطـا فى معيشته، متواضعا فى سلوكـه، وكانت أمنيته أن يقرأ مـرة أخرى فى الحرم النبـوى، وحولـه مئات الألـوف من أبناء العالم الإسلامى.

●●●

واحـد فقط فى مصر يستطيع أن يـزعـم بحق أنـه تلميـذ الشيخ على محمود، فقد عـاصره مدة طويلة من الـزمان كأحد أفراد بطـانته، ذلك الرجل هو الشيخ طه الفشنى.

اتصل الشيخ طـه الفشنى بـالشيخ على محمـود، والأخير فى قمـة مجده، وكـان الشيخ طه شـابـا صغيرا يقرأ القـرآن أحيـانا، وينشـد التـواشيح أحيـانـا أخـرى، ثم لم يلبث أن بهره صـوت الشيخ على محمود وطريقته الفـذة فى الأداء، وما يتمتع به من صوت عميق رهيب يهز وجدان الناس.

وطـاف الشيخ طه مع الشيخ على منـاطق مصر كلهـا، وسهر معـه الليالى الطـوال، وعاش معه حياتـه المجيدة الحافلة، وفى ليلـة من ليالى عام ١٩٣٩، قدم الشيخ على تلميذه الأول للجمهـور فحل محله فى ليلة خالدة فى حياة الشيخ طه، واستقبله الناس بالتقدير.. فقد كان الشيخ طه أقـدر الناس على استيعاب طـريقة أستاذه، ومن ثم أقـدرهم أيضا على أن يسد الفراغ الكبير الذى سيخلفه الشيخ على محمود.

وفى عام ١٩٤٢ ، أصبح للشيخ طه فرقـة يرأسها، ولمع نجمه سريعا فأذاع من محطة القاهرة، ومن محطات الإذاعات الخارجية، ولم يكتف بالتواشيح.. بل ظل يقرأ القرآن شأنه فى ذلك شأن الشيخ على، وارتفع أجره بعـد ذلك إلى عشرة جنيهات فى الإذاعـة، وثلاثين جنيهـا فى الليلة الواحدة، وعنـدما مات الشيخ على ـ قفز أجره إلى مـائة جنيه فى الليلة، إذ لم يعد أحد هناك سواه.

والشيخ طـه الفشنى كـان فى الثانيـة والأربعين من عمـره يعيش فى بيته بمصر الجديـدة، وله بيت آخر هجـره منذ عـدة أعوام فى الحارة التى كان يسكن فيها الشيخ على محمود، والشيخ محمد سلامة.

وأعظم الأصوات بالنسبة إليه هو صوت المرحوم الصيفى، والشيخ محمد رفعت، ويصفه بأنه فلتة لن يجود بمثلها الزمان.

وهو من عشاق صوت الشيخ مصطفى إسماعيل.. ومن أشد الناس إعجابا بطريقة الشيخ الصيفى فى الأداء.. حدث مرة أن كان الشيخ طه ينشد التواشيح فى ليلة مولد بديروط.. وعندما جاء عند مقطع «استقر به المقـام»، أقسم أحد العمد الجالسين بالطـلاق أن يظل الشيخ يردد هذا المقطع حتى الصباح.

وظل الشيخ الفشنى يـردد المقطع حتى بزغ نـور الفجر، ثم غـادر الصوان على عجل واستقل أول قطـار إلى القاهـرة، ولكن والحق يقال، كـان الشيخ الفشنى هو عمـدة فن التـواشيح والإنشـاد الدينى بعـد

الشيخ على محمود، ولكن حظه فى التلاوة كان متوسطا، وعندما بدأ قلد طريقة الشيخ مصطفى إسماعيل، ولكنه عدل عنها بعد ذلك وأصبح له طابعه الخاص، وبعد موت الشيخ طه الفشنى بسنوات طويلة، منحه الرئيس حسنى مبارك وساما تقديرا لدوره المجيد فى خدمة القرآن الكريم.

والغريب أنه فى حياة الشيخ طه الفشنى.. لمع فى مجال الإنشاد الدينى بعض المشايخ الذين أنعشوا هذا الفن وأثروه، منهم الشيخ عبدالسميع بيومى، والشيخ محمد الفيومى، أحد أفراد بطانة الشيخ على محمود، والشيخ محمد الطوخى، وهو علم من أعلام هذا الفن، على الرغم من أنه يعيش بنصف كلى، ثم جاء الشيخ النقشبندى - يرحمه الله - وقد بهر الناس بأدائه الرائع وبصوته الواضح القادر على الأداء فى كل المقامات، ثم جاء نصر الدين طوبار..

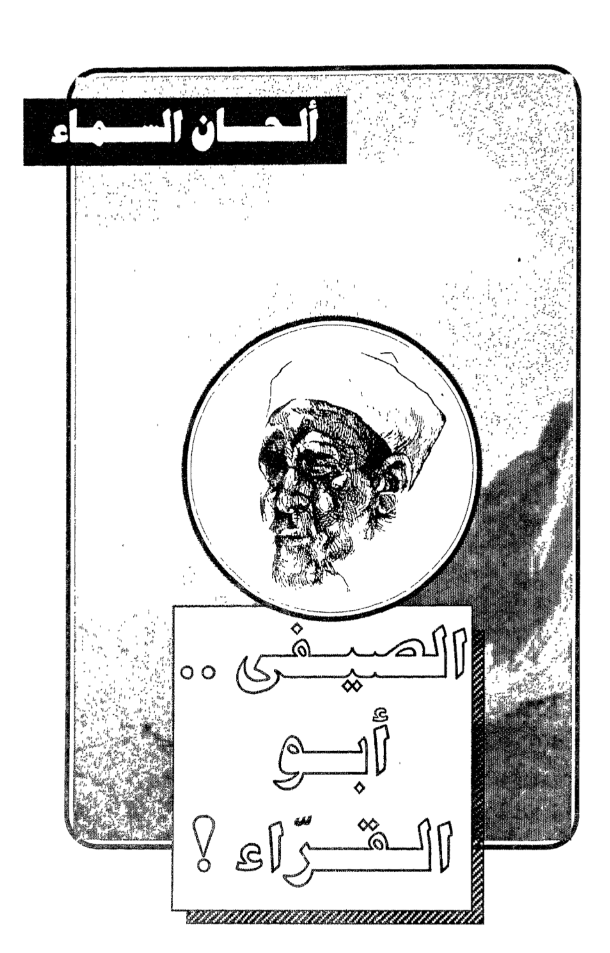
وقد تأثر نصر الدين بطريقة دراويش الطرق الصوفية، وكان الفضل فى ظهوره وانتشاره للفنان زكريا الحجاوى، لم يبق من الرائحة الحلوة القديمة إلا الشيخ محمد عمران، وبوفاته نستطيع أن نقول إن دولة الإنشاد الدينى والتواشيح صارت إلى زوال!

وأغرب شىء أن موت الشيخ محمد عمران آخر العنقود فى مدرسة الشيخ على لم تشر إليه أية جريدة أو مجلة، ولم يذع خبر وفاته فى أية إذاعة، حتى صديقه الحميم جلال معوض سمع الخبر من العبدالله بعد شهر من وفاته، والعبدالله عرف الخبر بالصدفة من قارىء صديق بعد ثلاثة أسابيع من رحيله، وهو دليل أكيد على أن العملة الرديئة تطرد العملة الصحيحة من السوق، وعلى أن الزمن الحاضر فقد موازينه..

والآن أصبح أى شىء مثل كل شىء، وحل مخبأ التليفزيون الذى يطلقون عليه (مسجد التليفزيون)، من باب الدلع، محل جامع السلطان حسن، والأزهر الشريف، وجامع السلطان أبوالعلا، وجامع

السيدة زينب، وجـامع الرفـاعى، وجامع شيخ العـرب أحمد البدوى، وجامع المرسى أبو العباس.

والآن.. لا أحـد يـدرى إلى أين نسير؟! بعـد أن أصبحت التـلاوة بـالـواسطة، والإنشـاد الـدينى بـالحلوانى، وانعـدمت الفـروق بين المشـايخ الذين يسرحـون على المقابـر، والمشـايخ الذين يسرحـون فى أروقة التليفزيون، و.. ليس لها من دون الله كاشفة ، والأمر لله من قبل ومن بعد؟!!!


ألحان السماء
الصيفى ..
أبو
القرّاء !

ثلاثة فقط من القراء ظهروا مع بداية العصر الذهبى لدولة التلاوة.. المشايخ: محمد سلامة، ومحمد الصيفى، وعبدالفتاح الشعشاعى، وكان الشيخ الصيفى أولهم، إذ ذاع صيته بعد الشيخ أحمد ندا والشيخ على محمود، وفى نفس الوقت الذى ذاع فيه اسم الشيخ محمد رفعت، وقد نشأ الشيخ الصيفى فى حارة واحدة مع الشيخ ندا، والشيخ سلامة، والشيخ على محمود.. وسكن الحارة قارئ آخر هو الشيخ طه الفشنى.. وعندما لمع اسم الشيخ الصيفى، كان الشيخ ندا يتقاضى جنيها كاملا فى كل ليلة، كان ذلك عام ١٩١٥، والحرب العظمى ناشبة، وموجة الإفلاس تدمر بيوت تجار القطن وملاك الأرض.

وكان الشيخ محمد رفعت يتقاضى فى ذلك الوقت خمسين قرشا عن كل ليلة، وكذلك الشيخ الصيفى، وعندما ارتفع أجر الشيخ ندا، ارتفع أجر كل القراء.. وأصبح الشيخ الصيفى يتقاضى عشرة جنيهات عن كل ليلة فى عام ١٩٣٧، وكان واحدا من أربعة قراء أحيوا ليالى مأتم الزعيم سعد زغلول، والملك فؤاد.

وكان هـو القارىء الوحيـد الذى رفض أن يقـرأ فى قصر فاروق فى أشهـر رمضـان الخاليـة، وذهب إليـه نـاظـر الخاصـة الملكيـة يستفسر منه عن سبب الرفض.

وأجاب الشيخ الصيفى: بأن صحته لاتساعده.

وقال نـاظر الخاصة: ولكن مـولانا يحب أن يسمعك، فـرد عليه الصيفى فى هـدوء: ولكنى أقـرأ فى الـراديـو، ويستطيع مـولانـا أن يسمعنى جيـدا، وعنـدمـا مات الشيخ على محمـود، وكـان قـارىء المسجـد الحسينى، أصبح الشيخ الصيفى قـارئا للمسجـد، وكـان للشيخ الصيفى رأى فى القـراء، ولكنـه كان يحتفظ بـه لنفســه، ولا يعلنه على الناس.

قال لى ذات مرة : إن أعظم الأصوات التى سمعهـا فى حياته هو صـوت الشيخ محمـد القهـاوى، والشيخ منصـور بـدار، ويأتى بعـدهما الشيخ مصطفى اسماعيل، سألتـه: ومحمد رفعت؟! فقـال على الفور: صوت محمد رفعت لم يكن كبقية الأصوات تجرى عليه أحكام الناس، لقد كان هبـة السماء.. والشيخ الصيفى كان صديقاً للمرحوم الشيخ محمـد رفعت حتى مات، وكان هو الـوحيد من بين القراء الذى لازمه أربعة أيام كامل قبل أن يموت.

وربح الشيخ الصيفى كثيراً وأنفق كل ما ربحه على أبنائه، وعلى أصـدقـائه، ولـه ابن عمل مخرجـاً فى السينما هـو الاستـاذ حسن الصيفى، وعـاش ومـات فى نفس الحارة التى نشأ فيهـا مع الشيخ نـدا، والشيخ على محمـود، والشيخ محمـد سـلامـة، وفى حجـرة الاستقبال فى منزله صور كل هؤلاء الاعلام.

ومعهـا أيضـا صورة المرحـوم الشيخ سيـد درويش، وقـال لى الشيخ الصيفى وهو يتأمل فى الصورة جيدا : هـذا الرجل ـ يقصد سيـد درويش ـ أحـدث انقـلابا فى فـن الموسيقى.. وهذا الـرجل ـ

يقصد الشيخ على محمود ـ أحدث انقلابا آخر فى فن الموشحات، وقد مات الشيخ الصيفى فى السبعين من عمره .. وقبل ذلك اعتزل إحياء الليالى، واكتفى بقراءة سورة الكهف فى مسجد الامام الحسين، ولقبه فى دولة التلاوة أبو القراء!

الشيخ القهاوى

سألت الشيخ رفعت مرة قبل وفاته: أى واحد من القراء تحب سماعه أنت يا شيخ القراء؟ وابتسم الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ وأجاب ونفس الابتسامة على شفتيه: لا داعى لهذا الاحراج، إنهم جميعاً مجيدون.

قلت: إذن أيهم أفضل من بين الذين انتقلوا إلى رحمة الله؟ وهنا اعتدل الشيخ محمد رفعت وراح يهز رأسه يميناً ويساراً، وكأنما قد هز السؤال حنينه إلى تلك الأيام البعيدة الجميلة.. أيام زمان.

قال الشيخ رفعت: كلهم كانوا مقتدرين على الأداء، ولكل منهم لون، فلا تستطيع أن تفضل واحداً على الآخر، ولكن كان أجملهم صوتا الشيخ محمد القهاوى، وكان صوته من أجمل الأصوات وأرقها وأعذبها وأشدها حنينا وحنانا وضراعة.

كانت المرة الأولى التى اسمع فيها اسم الشيخ القهاوى، فليست له شهرة الشيخ أحمد ندا، أو الشيخ على محمود، وكانت شهادة الشيخ رفعت وحدها كافية لمعرفة مدى ما كان يتمتع به من جمال الصوت، ولقد ظهر القهاوى فى نفس الفترة التى ظهر فيها الشيخ ندا، والشيخ رفعت، والشيخ على محمود، وغيرهم من الفرسان، ولكن الليالى الطويلة التى سهرها قضت عليه قبل فوات الأوان.

لقد كان رحمه الله ـ فناناً، وكان يعشق الليل، ولم يره أحد فى الشارع قبل الغروب، وربح كثيراً وأنفق ماربحه فى مجالس الاصدقاء.. وكان من أصدقاء الشاعر حافظ إبراهيم، والشيخ

البشرى، والدكتور محجوب ثابت، وكان القراء يرفضون الاشتراك معه فى ليلة واحدة، فقد كان الجمهور يرفض أن يستمع لأحد بعد الشيخ القهاوى، حدث مرة فى حى السلخانة ان قامت معركة فى مأتم كان يقرأ فيه الشيخ القهاوى، مات فيها أربعة، ونقلت عربات الاسعاف أكثر من عشرة إلى المستشفيات، وكان السبب هو الشيخ القهاوى، وسجل محضر البوليس أن المعركة نشبت لأن أحد الفريقين المتنازعين قال كلاماً اعتبره الفريق الآخر ذماً فى الشيخ.

ومات الرجل وهو فى قمة مجده، وكان وقتئذ فى التاسعة والأربعين، ولم يترك خلفه اسطوانة واحدة تسجل صوته، وكان أداؤه غريباً كصوته، يبدأ بطبقة عالية، وبإلقاء سريع، ثم ينتهى إلى عذوبة وطبقة خافتة مع مد طويل عند خاتمة الآية، ومن الذين قلدوا طريقته الشيخ محمود على البنا، مع أن الشيخ البنا لم تتح له فرصة الاستماع إلى صوت الشيخ القهاوى.

وقال لى الشيخ الصيفى، وهو يتحدث عن الشيخ القهاوى.. رحمه الله: إن كل الاصوات التى سمعتها والتى ستسمعها من خشب، وصوته وحده كان من الذهب، ولكن صاحبه انصهر فى بوتقة الليالى.. ومات قبل الأوان!

صوت من الغابة

كان فى جامع الخازندار رجل اسمر اللون يقرأ القرآن بطريقة غريبة كلها شجن تستدر الدموع من العيون التى لم تعرف طعم الدموع قط، هذا الرجل اسمه الشيخ سعيد نور.

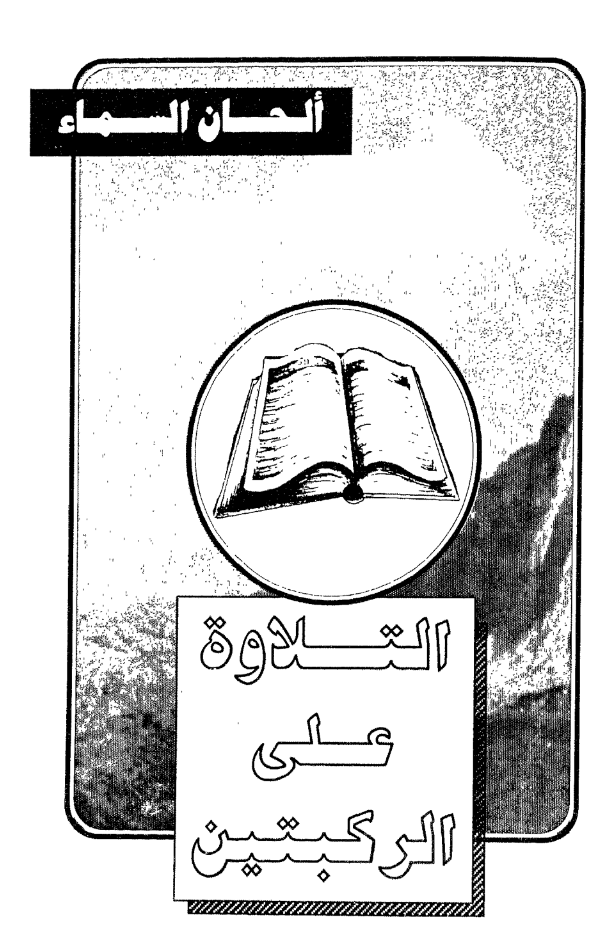
وبالرغم من أن الرجل لم يقرأ فى الاذاعة الا مرة واحدة، إلا أنه يتمتع بشهرة تفوق شهرة بعض قراء الاذاعة، وسر شهرة الشيخ سعيد أنه يقرأ القرآن بطريقة تختلف عن الطريقة المعروفة.. طريقة القراءات.

وبهذه الطريقة نفسها كان يقـرأ قارىء آخر من قبل هو الشيخ محمود البربـرى، وتسرى بين العامة شـائعة ان هذه الطـريقة هى وحدها الطريقة الشرعية التى يرضاها المحافظون، المهم أن الطريقة التى يقرأ بها الشيخ سعيد نور طريقة عجيبة تثير فى نفوس الناس عواطف شتى.. من الطرب والخشـوع والإيمان، وأيضاً تستدر من عيـونهم الدمـوع الحزينة، والسبب الـذى من أجله لم يقـرأ الشيخ سـعيد فى الاذاعــة ، أن صوتـه ـ رغم جمـاله ـ يكـاد لا يصـلح للميكرفـون،وهناك أصـوات غايـة فى الرقـة والجمال، ولكنها أمـام الميكروفون تختلف عن طبيعتها.

ويبـدو أنه من بين هـذه الأصـوات صـوت الشيخ سعيد نـور، والمحطـة الـوحيـدة التى تـذيـع لـه هى محطـة المملكـة العـربيـة السعودية، وشهـر رمضان هو أنسب الشهور لسماعهـا جيداً قبل السحور بـالنسبة لسكـان مصر، ولم يعرف عن الشيخ سعيـد أنه ابداً حدد أجـرا له، وهو يتناول الأجـر الذى يدفعه صـاحب الليلة دون نقـاش، وتتعصب لصـوت الشيـخ محافظـات بأكملهـا، وعلى رأسهـا جميعاً محافظـة المنوفيـة، ولعل السبب يـرجع إلى أن أغلب سكان حى شبرا ـ حى الشيخ سعيـد ـ من قرى المنوفيـة، وقد قرأ الشيخ مع المشـايخ الكبار قبل الحرب الأخيرة، قـرأ مع الشيخ على محمـود، والشيخ محمـد رفعت، وبـدأ هـو الآخـر مثلهم بخمسين قـرشـاً فى الليلـة، ويستمع الشيـخ سعيـد لصـوت الشيخ رفعت، ويفضله على كل الاصوات.

ويعتبر الشيخ الشعشـاعى هو أعظم القـراء بعد رفعت، وكـذلك مصطفى إسماعيل، وأبوالعينين شعيشـع، وقـد كان الـرجل الأسمر يعيش عيشـة بسيطة فى شبرا، أمـا هوايته الـوحيدة فكـانت سماع الاسطوانات القليلة الباقية للشيخ محمود البربرى!

ولكن يبـدو أن الشيخ سعيـد لم يقتنـع بأن صـوتـه لا يصلح لـلاذاعـة، ولـذلك هـاجـر من مصر واستقـر فى الكـويت فى فترة الستينيات، وسجلـت إذاعة الكويت القـرآن الكريم بصـوت الشيخ سعيـد، وتذيع لـه مـرة كل اسبوع فى فترة الفجـر، وقضـى الشيخ سعيد بقية حياته فى الكـويت حتى اختاره الله إلى جواره، ولكنه ترك ثروة روحية غـالية بتسجيلاته للقـرآن الكريم، ولكن لسوء الحظ.. كـانت اشرطتـه ضمن الأشرطـة التى اختفت مـن أرشيف الاذاعـة خـلال فترة احتـلال الاشـاوس.. وحكـومـة الكـويت تتهم جيش الاشاوس، وحكـومة الاشـاوس تنفى اتهامات الكـويت، وأين ذهبت الاشرطة؟! العلم عند علام الغيوب!



ألحان السماء
التلاوة
على
الركبتين

اسمه الشيخ محمد سلامة، ومات وهو فوق الثمانين بسنوات، عاصر الفترة الذهبية لعصر التلاوة أيام الشيخ على محمود وغيره، ونال من الشهرة والمجد ما لم ينله قارىء من قبل حتى ولا الشيخ أحمد ندا ، وذاع صيته عن غير طريق الاذاعة، فقد ظل أعواماً طويلة يؤمن بأن إذاعة القرآن حرام، ولذلك حرم من الثراء الذى ناله أمثاله، ولكنه عاد فى عام١٩٤٨، وأذاع من محطة القاهرة ، غير أن الزمن الطويل الذى عاشه كان قد أثر فى صحته وفى صوته، فاضطر إلى القراءة أمام الميكروفون عدة سنوات.

وقد بدأ الشيخ سلامة يقرأ فى عام١٩١٠، وكان يسكن مع المشايخ أحمد ندا والصيفى، وعلى محمود فى حارة واحدة فى حى العباسية، وكان الشيخ أحمد ندا أسبقهم فى الظهور، ثم تبعه الشيخ سلامة على الفور ولمع نجمه قبل أن يظهر الشيخ الشعشاعى بسنوات، وسافر إلى فلسطين بعد الحرب العظمى الأولى، وقضى فيها أعوامًا ثم عاد إلى مصر من جديد.. وحاولت إذاعة فلسطين تسجيل عدة أشرطة له، ولكن محاولاتها ذهبت عبثاً، فقد كان الشيخ يعتقد ـ كما قلت ـ ان اذاعة القرآن حرام، ويعتبر

الشيخ سلامة صاحب مدرسة مستقلة فى الأداء، كما أنه كان يتمتع بصوت مميز ليس لـه نظير بين أصوات القراء. وظل يعيش فى نفس الحارة التى نشأ فيهـا مع الشيخ نـدا وعلى محمـود والصيفى، الحارة الضيقة المسدودة بالعباسيـة والتى هجرها الجميع مـاعدا الشيخ الصيفى والشيخ سلامة.

ولعل الشيخ سلامة هو القارىء الوحيد الذى كان يقرأ جالسا على ركبتيه كأنـه فى حالة ركـوع أثناء الصـلاة، وكان إذا انتقل من طبقـة القـرار إلى طبقـة الجواب هب واقفـاً على ركبتـه فى حـركـة متوافقة مع الطبقة التى ارتفع إليها.

وكان الشيخ سـلامة لا يخفى استنكاره للطريقـة التى يقرأ بها الشيخ مصطفى إسماعيل. وكان يؤمن بأن قـراءة القرآن تحتاج إلى صوت قوى ووقور، أما الصوت «الحلو» فليس مستحبًا فى التلاوة! وكان هذا هـو رأيه أيضاً فى صوت الشيخ عبدالبـاسط عبدالصمد، أما الصـوت المفضل لديـه فكان صوت الشيـخ الصيفى، وكان من رأيه أن صوت الشيخ زاهر «مش بطال!»

وآخر مرة استمعت فيها إلى الشيخ سـلامة كانت فى مأتم والدة الحاج سيد مخيمر بالجيـزة، وحدث أثناء التلاوة أن انصرف بعض الجالسين، وهنـا قطـع الشيخ تـلاوتـه ، وأعطى الحاضرين فى السرادق درساً فى آداب الاستماع إلى القـرآن الكريـم، وعندمـا مات الشيخ محمـد سلامـة، كـان فى حكم المجهول بـالنسبـة للأجيـال الجديـدة، وهى الأجيال التى كـان يطلق عليها الشيخ لقب: أجيـال عبدالحليم حافظ!

استطاع رجل واحد فى دولة القراء أن يظل فى منطقته لا يبرحها، ومع ذلك فقـد وصل إلى الشهـرة وإلى المجد واستطـاع أن يفـرض اسمه على كل لسان.. ذلك هو الشيخ منصور الشامى الدمنهورى،

وفى دولـة القـراء رجـلان لم يبرحـا منطقتيهما أيضـاً، هما الشيخ صـديق المنشـاوى والشيخ محمـد مجد، ولكنهما لم يبلغا مكـانـة الشيخ منصور الشامى من حيث الشهرة والثراء.

نشأ الشيخ منصور وعـاش فى دمنهور وذاع صيتـه من المدينة الصغيرة ومـا حـولها، ولم يلبث أن غادرهـا وهـو فى العشرين من عمره إلى الاسكندرية مسقط رأس سيد درويش..

ذاع صيت الشيخ وأصبح علما على دولـة القراء هنـاك، واتصل فى شبابـه بالمشـايخ محمد رفعـت، وعلى محمود ومنصـور بدار.. واعجب الشيخ محمد رفعت بصـوته وشهـد له بالتفـوق والنبوغ، وقرأ معـه فى ليلة واحـدة فى احتفال كبير بـالاسكندريـة، ومنذ تلك الليلة ومنصور الشامى الدمنهورى يجرى على طريق الشهرة وهو يلهث من الاعياء، فقـد كان يكفى أن يقـرأ الشيخ رفعت مع قارئ صغير حتى يصبح اسم الأخير على كل لسان.

وفى عـام١٩٤١ عين الشيخ منصـور قـارئا لمسجـد سيـدى أبى العبـاس المرسى بـالاسكنـدرية.. وكـانت الصحـراء المحيطـة بالمدينـة تشهد لونا من الصراع الـرهيب بين جيوش هتلر الـزاحفة والجيش البريطـانـى الـذى انطلق فى الصحـراء العـريضـة نحـو الاسكندريـة. ومرت لحظـات حرجـة وخطيرة على المدينة والجنـود الألمان على بعد خمسـة عشر ميلا منهـا.. ومدافعهم الثقيلـة البعيدة المدى تضرب أطراف المدينة ليل نهار.. وغادر الانجليز المدينة، ومن ورائهم سكـانها جميعاً، ولكن الشيخ منصـور رفض ان يغادرهـا وأصر على البقاء بجوار سيدى المرسـى ليقرأ داخله القرآن. وانهزم روميل وانتحـر هتلر. وبقى الشيخ منصـور يقرأ فى مسجـد سيدى أبى العباس.

وفى عام١٩٤٥ قـرأ الشيخ منصور لأول مرة فى الاذاعـة وبأجر خمسـة جنيهـات، ثم لم يلبث أن ارتفع أجـره إلى عشرة ثم خمسـة

عشر جنيهاً عن كل إذاعــة، وكان يذيع فى نفس الــوقت من محطات لندن وسـوريا والشرق الأدنى وباكستــان، وقد توفى الشيخ منصور إلى رحمة الله منذ زمن طويل، ولكن صوته القـوى وطريقته الفريدة فى الآداء لا يزال صداها يرن فى أسماع الـزمان، ومع انه لم يشتهر كثيراً ولم يحقق من احتراف التـلاوة مـا حققه غيره من القـراء، إلا أنه كان على عكس زميله الشيخ سلامـة قانعاً بما وصل إليه، وكان يردد دائماً مقولة تعبر عن رضـائه بما وصل إليه: الصوت هبة من عنـد الله، والهبة هى نـوع من الـرزق، والله سبحــانه وتعـالى قسم الارزاق بين النـاس، وفضل بعضهم على بعـض. وكـان يقـول: إن الشيخ رفعت رزقــه كبير، ورزقى متوسط ، وهنــاك آخرون رزقهم قليل، وعلى كل مرزوق ان يرضى برزقه!

وكان شديـد الاعجاب بصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، ويعبر عن اعجابه بقوله: إن الله سبحانــه اعطاه حلاوة فى الصوت، وابداعاً فى الاسلوب، وإنه عطية السماء لـدولة التلاوة، ولم يكن له نظير فى الماضى ولن يكــون لــه مثيل فى المستقبل! ولعل الشيــخ منصــور الشـامى الـدمنهورى من القـراء القلائل الذى كـان يحرص الاقباط على سماعــه، فقـد كـانت طـريقتــه فى الأداء تقترب من أداء تـرتيل المنشدين فى الكنائس، رحم الله الشيخ منصور الشامى الدمنهورى، إحدى القمم الشامخة فى دولة التلاوة!

● ● ●

فى مأتم المغفور لــه محمود فهمى النقراشى، جلس كبـار رجال الدولـة وقتئذ يستمعون فى خشوع إلى آيـات الذكر الحكيم، يـرتلها رجل فى الخامســة والأربعين من عمره تـرتيلاً حسنـاً، وفى صوتـه نبرة غريبــة تحرك الشعور وتهز الوجدان.. وسـأل رئيس الحكـومة وقتئذ عن اسم هـذا القارىء، فقـالوا له: انـه عبدالـرحمن الدروى، وقال رئيس الـوزراء إبراهيم عبدالهادى: ولماذا لا يقـرأ فى الاذاعة؟

ومن ذلك الحين ظل الشيخ عبدالرحمن يقرأ فى إذاعة القاهرة، وبدأ بأجر خمسة جنيهات عن كل اذاعة، ثم ارتفع أجره إلى عشرة جنيهات، ثم خمسة عشر جنيهاً، وقفز أجره فى الليلة الواحدة إلى ثلاثين جنيهاً، ثم إلى خمسين جنيهاً، وعاش الشيخ الدروى متنقلاً بين القاهرة وقريته الصغيرة دوره فى المنوفية، وقليلون يعلمون ان الشيخ الدروى كان يعمل مأذوناً بقريته، وأن كل الزيجات فى منطقته تتم على يديه، لأن الأهالى فى تلك المنطقة يتفاءلون بالشيخ الدروى ويعتقدون ان السعادة الزوجية تصاحب زبائنه.

والشيخ الدروى يتمتع بصوت يصفه خبراء الاصوات بأنه متوسط، ولكنه رغم هذا يتمتع «بقرار» سليم ونبرة غريبة تهز النفوس.. ويفضل الشيخ الدروى صوت الشيخ محمد رفعت وصوت الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى من القراء الذين سبقوه، ويصف صوت الشيخ الشعشاعى بأنه اعظم الأصوات.

وفى اغلب الليالى كان الشيخ الدروى يسهر فى الليالى التى يقيمها أهل منطقته فى المنوفية، وهو لا يتقاضى أجراً من أهل القرية على الاطلاق، كما انه لا يتقاضى منهم أجراً على قيامه بتحرير عقود الزواج، وهو يقول : ان النبرة الغريبة التى يتميز بها صوته يتميز بها كذلك جميع أهل القرية. وهى نبرة شجية حزينة، ربما علقت بأصوات أهل القرية من الواقع الحزين الذى تعيش فيه القرية الصغيرة الواقعة على شاطىء الرياح المنوفى الحبيب، وإذا كان الشيخ الدروى قد ذاع صيته بعد وصوله إلى ميكروفون الاذاعة، إلا انه كان يرفض إحياء الليالى فى المناطق النائية، ولكنه كان حريصاً على تلبية الدعوات التى تصله من أهالى المنوفية والقليوبية والغربية. كما كان حريصاً على الاشتراك فى ليالى مولد السيد أحمد البدوى.

وكان يتردد أحياناً على مسجد السيدة نفيسة ليصلى العشاء فى ركن منعزل، ولكنه كان يضطر إلى التلاوة إذا تعرف المصلون عليه. وكان يشعر بسعادة لا مثيل لها وهو يقرأ للناس الطيبين الذين يتصادف وجودهم فى المسجد ذلك المساء، وعاش الشيخ الدروى حتى مات، وله هواية واحدة هى الاستماع إلى تسجيلات الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت، وحضور الليالى التى يحييها الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى. وكان متيماً بصوت الشيخ عبدالعظيم زاهر، ومعجباً بصوت الشيخ محمود عبدالحكم!


ألحان السماء
حكاية
الثلاثة
الكبار

فى دولة التــلاوة أصوات لم تــرتفع إلى القمة التى ارتفع إليهــا محمـــد رفعت، وأحمد نــدا، ومصطفى إسماعيل، ولكنها استطــاعت أن تدخل التــاريخ، وأن تنقش اسمهــا على جـدار الــزمن، وعلى رأس هــؤلاء ثلاثــة من أعظم القراء ، كان لكل منهم لــون خاص ومذاق مختلف.

الشيخ عبـدالعظيـم زاهــر والشيخ أحمد سليمان السعــدنى والشيخ محمـد فــريد السنــديــونى، أمــا الشيخ عبـدالعظيم زاهــر فقـد كان نسيجــا وحــده، لم يقلد أحــدا، ومن الصعب تقليده، وصوته عــلامة من عــلامــات رمضـــان كما صــوت الشيخ محمـد رفعت، وقد حفظ القرآن، ثم انطلق يقرأ فى المآتم وفى الحفــلات الدينيــة، واشتهــر بسرعة البرق، وفــرض نفسه على دولــة التلاوة كــواحد من نجـومها، ولكن طريقته الخشنة فى التعــامل مع الناس والحياة، ربما هى السبب فى تعثره وعــدم وصولــه إلى القمة، ولكن عــدم وصــوله إلى القمــة لاينفى أنــه كــان صــاحب

صوت من أجمل الأصوات التى سمعناها فى العصر الحديث، وصاحب طريقة فى الأداء ليس لها شبيه على طول الزمن.

كان صاحب صوت مقتدر على الأداء الممتاز فى جميع المقامات ، وكما كان مقتدرا فى طبقة الجواب وجواب الجواب ، كان مقتدرا أيضا فى طبقة القرار ، وهى ميزة كبرى لم يظفر بها إلا عدد قليل من القراء ، على رأسهم الشيخ محمد رفعت ، وبالرغم من شهرته العريضة وطريقته الفذة ، إلا ان أحدا من القراء الجدد لم يجرؤ على تقليده ، رغم أن كثيرين قلدوا الشيخ محمد رفعت وعلى رأسهم الدكتور هيبة والشيخ أبو العينين شعيشع ، ولكن عبدالعظيم زاهر لم يقترب من منطقته أحد حتى هذه اللحظة .

يذكر أن أحد أعيان حى « المدبح » طلبه للقراءة فى إحدى الليالى فطلب ثلاثين جنيها أجرا عن الليلة ، وأمهله مدة ساعتين للحضور إليه ودفع المبلغ مقدما ، وبشرط إحضار سيارة لتوصيله إلى المأتم وإعادته إلى البيت آخر الليل ، وكان مبلغ الثلاثين جنيها فى ذلك الزمان مبلغا جسيما ، حيث كان فدان الأرض فى المنوفية بثلاثين جنيها ، وحاول أصحاب الليلة الاستعانة بقارىء آخر ولكنهم فشلوا ، فاضطروا مكرهين إلى الاستعانة بالشيخ عبدالعظيم زاهر ، ونفذوا جميع شروطه ، منحوه المبلغ مقدما واصطحبوه معهم فى سيارة إلى السرادق ، وبعد أن أحيا الليلة ، وكان صاحب الحفل سميعا كبيرا عاصر مشايخ كباراً مثل الشيخ أحمد ندا والشيخ القهاوى والشيخ الفيشاوى وتقدم الرجل السميع إلى الشيخ زاهر وصافحه بشدة ونقده ثلاثين جنيها أخرى ، وتقدم أحد أبناء الرجل ولفت نظر أبيه إلى أن الشيخ تقاضى أجره مقدما ، وأجاب الرجل فى هدوء : أعلم ذلك ، ولكن الشيخ زاهر يستحق ضعف

المبلغ الذى اتفق عليه ، إن صوته من نسمات الجنة .

وقرأ الشيخ زاهر فى سرادق عابدين داخل القصر الملكى فى ليالى رمضان المباركة ، وعندما قرأ فى إمارة عجمان أصدرت طابع بريد يحمل صورته ، وظل الشيخ زاهر يقرأ مع الكبار وينافسهم حتى توفاه الله .

ومنذ فترة وبعد وفاته بوقت طويل، منحه الرئيس مبارك وساما فى الاحتفال الرسمى بليلة القدر، رحم الله الشيخ عبدالعظيم زاهر، الذى كان صوته من عجائب دولة التلاوة، ومن أعذب الأصوات التى استمعنا إليها فى الحياة!!

مجرم حرب !!

لعلها المرة الأولى والأخيرة التى تعرضت فيها تقارير رجال المخابرات البريطانية خلال الحرب لقارىء متهمة إياه بأنه يتعامل مع الأعداء، ففى بداية الحرب الأخيرة قالت مخابرات الحلفاء: إن الشيخ أحمد سليمان السعدنى القارىء المعروف يذيع كل مساء من محطة برلين العربية، وقالت التقارير أيضا: إن إذاعة الأخبار باللغة العربية بعد التلاوة مباشرة، وقالت التقارير أيضا : إن عددا كبيرا من الناس يستمع إلى إذاعة برلين ليتمكن من سماع الشيخ السعدنى، وسمع مصطفى النحاس باشا ـ وكان رئيسا للوزراء ـ بالقصة، فأرسل فى استدعاء الشيخ، وعندما دخل عليه مكتبه، رفض النحاس أن يصافحه قائلا له بلهجته المعروفة: لا.. ده مش كلام.. أنت راجل بتتعامل مع المحور.

وشرح الشيخ السعدنى للنحاس كل شىء، واقتنع النحاس ، فمد يده وصافحه وقال له: الآن اطمأن قلبى.

واصل الحكاية أن بعثة من الاذاعة الألمانية وصلت إلى مصر فى عام١٩٣٧، لتسجيل بعض الأغانى والبرامج العربية، لإذاعتها فى

راديو برلين، وقضت البعثة عـاما سجلت فيه كل شىء، ثم رأت أن تسجل شيئـا من القـرآن، فلـم يتسع وقتهـا لأكثـر من عشرة تسجيـلات كلهـا للشيخ السعـدنى، ونشبت حـرب فى عـام١٩٣٩، واستغلت برلين الفـرصة فراحت تـذيع شرائط الشيخ السعدنى كل مسـاء من محطتهـا العـربيـة. ومـن هنـا جـاء اتهام المخـابـرات الانجليزية للشيخ السعدنى بأنه من عملاء المحور.

وقـد بـدأ الشيخ السعـدنى تلاوة القـرآن الكـريم عـام١٩٢٥، وبأجر قدره خمسون قرشـا فى الليلة، وفى مدينة منيا القمح مسقط رأسه، وفى عـام١٩٣٠ نزح إلى القاهرة حيث أصبح صـديقا للشيخ رفعت والشيخ على محمـود، وفى عـام١٩٣٥ أصبح قـارئا لمسجـد سيدى الشعـرانى، وبدأ نجمه يلمع خلال الحرب من محطـة برلين العربية ومحطة القاهرة.

والشيخ السعدنى كـان فنانـا يحب الاستماع إلى صوت الشيخ محمد رفعـت والشـيخ على محمـود ، وكان أديبـا أيضا ولـه كتاب (فى خدمـة القرآن)، عرض فيـه لطريقة بعض قـدامى القراء، وشرح فيه مذاهبهم فى التلاوة وطريقتهم فى الأداء.

وعندما كـان الشيخ السعدنى فى الثانية عشرة من عمـره، كانت الثـورة المصريـة عـام١٩١٩ تجتـاح أرض مصر، وكـانت المراكـز الكبرى تقيم فى كل يـوم مأتما لشهدائهـا، وكان مـركز منيـا القمح يقيم فى كل يوم أكثر من مأتم يقرأ فيه أكثر من قارىء شهير.

وكـان الشيخ السعـدنى يقطع كل مسـاء عشرة كيلـومترات من قـريته إلى منيـا القمح ليستمع إلى المشـاهير الـذين جاءوا ليرتلـوا القـرآن، وكان يجلس السـاعات الطـوال على الأرض خلف السرادق ليسمع بعيدا عن العيـون، فلم يكن دخول السرادق مبـاحا لأمثـاله من الصبيـة الصغـار، وذات مسـاء بكـى الشيخ السعـدنى وهـو

يستمع إلى الشيخ البربرى وود لويستطيع أن يصافحه ويقبل يده، ولم تتحقق أمنيته قط، وحتى عندما أصبح الشيخ السعدنى رجلا وجاء إلى القاهرة، كان الشيخ البربرى قد انتقل إلى رحمة الله.

فلسطين .. وداعا !!

ظهر الشيخ فريد السنديونى فجأة ثم اختفى فجأة، وظل عشر سنوات طوالا واسمه يدوى كالطبل فى أنحاء البلاد العربية، وكان ظهوره فى بداية عام١٩٣٨، وفى قريته سنديون بالمنوفية، ومن ثم ذاع صيته فى أنحاء المنوفية ثم فى المديريات المجاورة، ثم أصبح الشيخ فريد علما فى مدينة القاهرة.

وفى عام١٩٣٩ أذاع الشيخ لأول مرة من إذاعة القاهرة، وفى عام١٩٤١ كانت الصحراء تشهد حربا عنيفة، وجيوش المحور تمسح رمال الصحراء الغربية بجيوش الحلفاء وأصبح لإذاعة الشرق الأدنى، كان مقرها فلسطين، أهمية بالغة، فاستدعت السلطات الانجليزية الشيخ فريد ليقرأ فيها بصورة دائمة، وسافر الشيخ فريد إلى فلسطين بمرتب مائتى جنيه فى الشهر، وفى عام١٩٤٥ قفز هذا الرقم إلى خمسمائة.

وفى بداية عام١٩٤٧، وكان قد لاح فى الأفق أن الأرض المقدسة ستخضب بالدماء.. استغنت إذاعة الشرق الأدنى عن خدمات الشيخ، فغادرها عائدا إلى القاهرة، وقيل يومئذ أن خلافا قد نشب بين الشيخ وبين مدير الاذاعة الانجليزى حول تصرفات غريبة لم يرض عنها مدير الاذاعة، وراح الشيخ يذيع من محطة القاهرة فترة قصيرة، ثم لم يلبث أن عاد إلى فلسطين مرة أخرى، وكان ذلك فى نهاية١٩٤٧، واتخذ من مدينة يافا مقرا له.

ولكن القاهرة التى علمته وانضجته انكرته عندما عاد، ذهب إلى الاذاعة فى عام١٩٤٩، ليقرأ من راديو القاهرة، ولكن المسئولين رأوا

عرضـه على لجنة رسمية لـلامتحان!! امتحان؟! قـارىء مشـهور فى العـالم العـربى احترف القـراءة عشرين عـامـا، ثم بعـد ذلك كلـه امتحان؟! وسكت الشيخ السنـديونى ولم يتكلم، وفى يـوم الامتحان ذهب إلى الاذاعة ودخل الاستديو، بينما كان فى حجرة مجاورة عدة أشخاص أشبه بمحلفين، فى انتظار اصدار حكمهم، له..أو عليه.

وكـان بينهم المعمم الـذى يفهم سر المهنة، والـذى ليس لـه من مـوهبة إلا صلـة وثيقـة بـالقصر الملكى الذى كـان يحكم البـلاد، واعطيت الاشارة للشيخ السنديونى لكى يقرأ، وبهت الجميع عندما ارتفع صوت الشيخ يلعلع بالغناء، ثم خـرج صائحا من الاستديو: مادام عـاوزين امتحان أنا مستعد أمتحن فى الغنـاء، إنما فى القراءة مستحيل.. أنا قارىء من عشرين سنـة وصوتى بيلعلع من إذاعات العالم! ثم خرج الشيخ من الاذاعة ولم يعد إليها قط.. وقضى عاما بلاعمل، ثم أراد أن يحتج على هذا الوضـع الغـريب، وكان احتجاجه فريدا ولاذعـا، فقد افتتح الشيخ مقهى فى شبرا وجلس الشيخ خلف البنك يعد المارك، ويعـد المشاريب للزبائن الكـرام، وذات ليلة باردة من ليالى عام١٩٥٢ مات الشيخ السنديونى داخل مقهاه.

ولقد كان صـوته غريبا، يقطـر الما وحزنا، ومرارة كحيـاته التى لم تستمـر طويـلا، فقد مـات الشيخ السنديـونى فى سن الأربعين! كان صوتـه يشبه صوت الناى الحزين، صـوت مصرى عريق، فيه صرخات وأنات وزفرات الفـلاحين الذين عاش معهم وتربى بينهم، وانتهى إليهم آخر الأمـر جثة بـلا روح، فقد أوصى قبل مـوته بأن يدفنوه على شاطىء الرياح فى سنديون!!

وفى يـافا كـان بيتـه ندوة لأهل الفـن، وكان أبـرز مـافيه حبـه الشديد للمعـرفة والثقافة وتعلقه الشديـد بالمثقفين، وفى تلك الندوة كان يسهر الشـاعر الكاتب المرحوم عبـدالرحمن الخميسى وسـامى

داود وعميد الامام وسليم اللوزى، وتردد عليها أيضا عباس محمود العقاد وإبراهيم المازنى خلال زيارتهما الخاطفة لفلسطين، وإبراهيم الشنطى صاحب جريدة الدفاع فى يافا الذى كان من أصدقائه هو وناصر الدين النشاشيبى، وسعيد التلاوى صاحب الفيحاء فى دمشق، وسعيد فريحة صاحب الصياد فى بيروت، وعندما مات رثته صحف العواصم العربية كلها ماعدا صحف القاهرة، فقد نشرت خبر وفاته فى سطور.

وفى بداية عام١٩٤٨ قبل بدء الحرب الفلسطينية بأشهر قليلة، كان الشيخ يقرأ لآخر مرة له فى فلسطين، وفى مدينة القدس، وكانت المناسبة وفاة عربى كبير يسكن المدينة التى سقطت فيما بعد فى يد إسرائيل، وفى تلك الليلة نشب قتال وحشى بين شباب جمعية الأراجون الارهابية والشباب العربى، وأصيب الشيخ يومها فى رأسه، فحزم امتعته فى المساء، وعاد إلى القاهرة بقطار الفجر، وبعد أن خمدت النار فى فلسطين، ظل الشيخ يحن إلى الأرض المقدسة التى شهدت مجده، فطار من جديد إلى عمان، وظل هناك حتى قدر له أن يقرأ فى مآتم الملك عبدالله، ثم سافر إلى سوريا وإلى لبنان وقضى فى كل منهما زمنا.

ثم عاد إلى القاهرة ليستقر فى حفرة على النيل.


ألحان السماء
من الشيخة
أم محمد
إلى الشيخة
كريمة العدلية

بموت السيدة نبوية النحاس فى عام١٩٧٣ انطوت صفحة رائعة من كتاب فـن التلاوة والانشاد الدينى فى العصر الحديث، فقد كانت السيـدة نبوية هى آخر سيـدة مصريـة ترتل القـرآن الكـريم فى الاحتفـالات العامـة، وفى المناسبات الدينيـة، وفى المآتم والأفراح. وكان الاستماع إليهـا مقصوراً على السيـدات، وكان بمسجد الحسين قسم خـاص للسيدات يـدخلن إليه من باب خاص. وكانت السيدة نبوية هى واحدة من ثـلاث سيـدات اشتهـرن فى نفـس الـوقت: السيـدة كريمة العدلية والسيدة منيرة عبده.. والسيدة نبوية.

أما السيدة كريمة العدلية فهى أشـهرن جميعاً..

ظهـرت فى عصر الشيـخ على محمـود والشيخ منصـور بـدار، ووصل صـوتها للعـالم العربى كلـه من خـلال الميكـروفون أيـام الاذاعات الأهليـة، وعاشت السيدة كريمـة حتى تم تمصير الاذاعة، وظللت تذيع القرآن الكريم بصـوتها العذب إلى فترة الحرب العالمية الثانيـة. وكانت هناك قصة حب شـديد وعجيب بين كريمة العـدلية والشيخ على محمود. كـانت تعشق صوته وطريقتـه الفذة فى الأداء، وكان هو يفضل الاستماع إليها ويفضل صوتها على أصوات بعض القراء، وكثيراً ما كـانت تصلى الفجر فى الحسين فى الركن المخصص

للسيـدات لكى تتمكن من سماع صـوت الشيخ على محمـود وهـو يرفع آذان الفجـر بصوتـه الذى ليس لـه مثيل. ولم يسبق الشيخة كريمـة العدليـة واحدة من السيـدات اللاتى احترفن تـرتيل القرآن وإنشاد المدائح النبـوية إلا السيدة أم محمـد، التى ظهرت فى عصر محمد على، وكـان من عادتها إحياء ليـالى شـهر رمضـان الكريم فى حرملك الوالى.

كما كانت تقوم بإحياء ليالى المآتم فى قصور قواد الجيش وكبار رجال الـدولة. وكانت مـوضع إعجاب الباشـا محمد على، وحصلت على العـديـد من الجوائز والهدايـا، وأمر محمـد على بسفـرهـا إلى اسطنبول لإحيـاء ليالى شـهر رمضـان المعظم فى حرملك السلطـانة. وماتت الشـيخة أم محمد قبل هـزيمة محمد على ومرضـه، ودفنت فى مقبرة أنشئت خصيصـاً لها فى الإمـام الشـافعى، وجـرت مـراسم تشييع الجنازة فى احتفال عظيم.

ولكن الشيخـة منيرة عبده لم تحقق الشهـرة التى وصلت إليهـا كريمـة العدلية، بالـرغم من وصول صوتها إلى العـالم العربى عبر ميكروفـونات الاذاعات الأهلية المصريـة، وعندما قـرأت أول مرة فى عام١٩٢٠ كـانت فتاة صغيرة فى الثامنـة عشرة من عمرهـا، نحيفة وضعيفـة وكفيفة أيضـاً، وأحدث ظهـورهـا ضجة كبرى فى العـالم العـربى، ولم يمض وقت طـويل حتى أصبحت الشيخـة منيرة نـدا للمشـايخ الكبـار، وذاع صيتها خـارج مصر، وتهافت عليهـا جميع إذاعـات مصر الأهليـة. وفى عـام١٩٢٥ عرض عليهـا أحـد التجـار الأثريـاء التوانسة إحيـاء شـهر رمضان فى قصره بصفـاقس وبأجر ألف جنيه، وهـو مبلغ يساوى بحساب النقد هذه الأيـام مائة ألف جنيه.

ولكن الفتـاة الصغيرة الكفيفة لم تستطع تحقيـق أمنية الـرجل

الثـرى الطيب، فلم يكن من الرجل الطيب الا الحضـور إلى القاهـرة وقضاء شهر رمضان فى مصر، وعندمـا أنشئت الاذاعة الرسمية فى القاهرة، كانت الشيخة منيرة فى طليعة الذين رتلوا القرآن من خلال موجـاتها، وكانت تتقـاضـى خمسة جنيهـات، فى الوقت الـذى كان يتقاضى فيـه الشيخ رفعت عشرة جنيهات، ومـع أن الشيخة منيرة عبده كانت على علاقة طيبة بكل القراء، إلا أنها كانت تفضل الشيخ محمد الصيفى على الجميع، وكانت تعتبره شيخ القراء جميعاً.

وقبل الحرب العالميـة الأخيرة بقليل أفتى بعض المشـايخ الكبار بأن صوت المرأة عـورة، وهكذا اختفت الشيخـة منيرة من الاذاعة، وتوقفت إذاعة لندن وإذاعة باريس عـن إذاعة إسطواناتها خوفاً من غضب المشـايخ الكبـار، وبالـرغم من تـدفق المئـات من خطابـات الاحتجاج من المستمعين على ابعـاد الشيخة منيرة، إلا أن الاذاعة لم تستطع أن تفعل شيئاً، فقد قضى الأمر بعـد فتوى المشايخ الكبار، واعتكفت الشيخة منيرة فى آخر أيام حيـاتها فى بيتها تجتر ذكريات الأيام الجميلـة القديمـة الحافلة، وعاشت حتـى ماتت وهى تمارس هـوايتها الـوحيدة، وهى الاستماع والاستمتـاع بأصوات العمالقـة الذين انتقلـوا إلى رحمة الله، فقد كانت تحتفظ لهم بمجمـوعة كبيرة من الاسطوانات التى تحفظ أصواتهم.

وكانت تـردد دائماً أمام الاصـدقاء والمترددين عليهـا: إن الزمن يفقـد الأصـوات بعض خصـائصهـا الجميلـة، ولـذلك فهى تفضل الاستماع إلى أصوات المشايخ الكبار عندما كانوا فى فترة الشباب.

والحقيقة أن مصر كانت تضـم العشرات من السيدات القارئات غير كريمـة العدليـة ومنيرة عبده ونبـوية النحـاس. فقد كـانت إلى جـانب هـؤلاء السيـدات الشهيرات الكثيرات من السيـدات اللـواتى يمارسن هذه المهنة فى احياء القاهرة الشعبية وفى الريف.

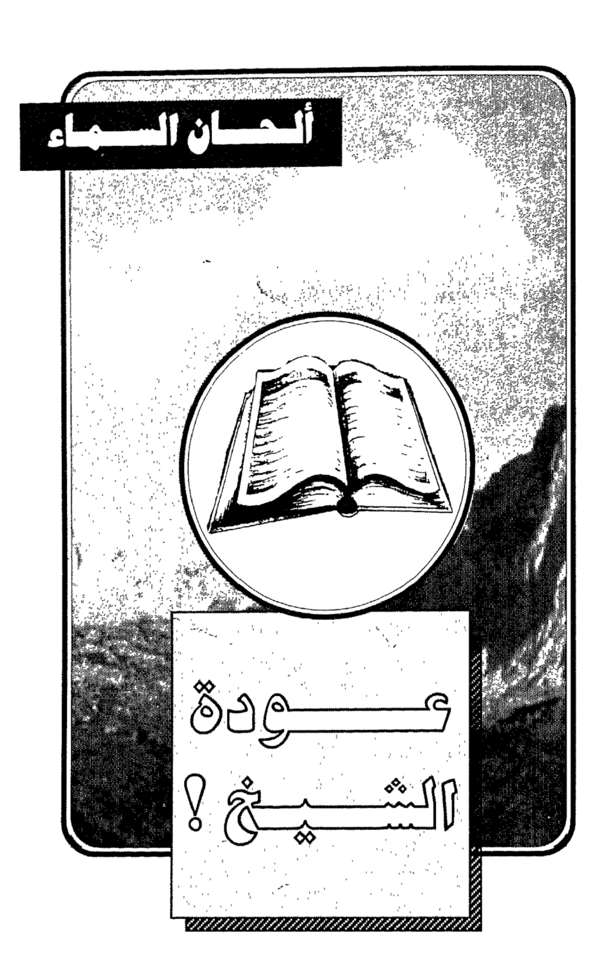
والسبب أنه كانت للأسر المصرية حتى بداية القرن تقاليد ظلوا متمسكين بها حتى الربع الأول من هذا القرن، كانت ليالى المآتم تقام ثلاثة أيام للرجال وثلاثة أيام للنساء، وكان لابد من وجود قارئات لإحياء ليالى المآتم عند السيدات، وفى البداية لم يكن هؤلاء السيدات يحترفن مهنة ترتيل القرآن، ولكنهن كن يحترفن مهنة النياحة، أو المعددات كما كان يطلق عليهن أبناء الشعب، وأشهر هؤلاء كانت الحاجة دربالة بالجيزة، وعندما كانت تحترف النياحة كانت قادرة على أن تستدر الدمع من عيون الصخر، ثم احترفت قراءة القرآن فترة من الوقت، ولكنها لم تستمر طويلاً، فقد أصيبت بمرض خبيث، وماتت وهى فى الخمسين من العمر.

وكانت هناك الحاجة خضرة فى المنوفية، والست عزيزة فى الاسكندرية، والست رتيبة فى المنصورة، والشيخة أم زغلول فى السويس. والغريب أنهن جميعاً كن يحترفن النياحة فى المآتم قبل أن يتحولن إلى قارئات. والنياحة مهنة معروفة فى مصر، ويبدو أنها ميراث من قدماء المصريين، الذين كانوا يحتفلون بالميت أربعين يوماً بالتمام والكمال.

وكان للنياحة فى مصر نجوم أشهر من نجوم السينما حتى منتصف القرن الحالى.. وهذه المهنة نفسها.. النياحة.. كانت معروفة فى الجزيرة العربية أيام الجاهلية وصدر الاسلام، وكان يحترفها ابن سريج فى المدينة، ومعبد فى مكة قبل انتقالهما إلى الطرب والغناء، ولكن أشهرهم جميعاً فى التاريخ المصرى هى الشيخة أم عبدالسلام. وقد ظهرت فى العصر المملوكى، ثم تزوجت من شيخ مجذوب كان يحترف مهنة كتابة الأحجبة.. وبعد أن استولى على ثروتها، هرب منها، ورفعت الأمر إلى المملوك الوالى، ولكنها اكتشفت أنه كان على علاقة بالوالى المملوك وأنه كان كاتب

الأحجبة الرسمى للبلاط المملوكى، فأصابها الجنون، ومزقت ملابسها، وراحت تجوب حوارى القاهرة وأزقتها عارية كما ولدتها أمها، ورفع الناس شكواهم ضدها إلى المملوك الوالى، فأمسك بها وضربها وحبسها، وعندما أطلقها من محبسها عادت إلى سيرتها الأولى، فانقض عليها بعض الحرافيش ورجموها بالحجارة حتى ماتت. ودفنت الشيخة أم عبدالسلام فى مقابر الصدقة، وذهبت غير مأسوف عليها.

والآن ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين، اختفت هذه الظاهرة تماماً فى مصر، وربما فى البلاد العربية أيضاً، ولكنها موجودة فى بلاد جنود شرق آسيا، وقد استمعت منذ عدة أعوام فقط إلى قارئة فى الفليبين، واستمتعت إلى قارئة ماليزية فى تايلاند، وكانت تقرأ للرجال، ولكن من وراء ستار!


ألحان السماء
عودة
الشيخ !

الشيخ أبو العينين شعيشع من الشيوخ المتكلمين، أحيانا يقول كلاما صحيحا، وأحيانا يقول كلاما من النوع المضروب، ومن كلامه الفارغ ما صرح به لمندوب جريدة يومية بأن عسكر يوليو منعوه من القراءة فى الإذاعة، ولما سأله المحرر: ليه؟ أجاب قائلا: لأننى كنت قارىء الملك قبل الثورة..

ويؤسفنى أن أقول لكم ـ فى شهر رمضان المبارك ـ بأن كل ما نطق به الشيخ فى هذا الحديث كذب فى كذب!

فهو أولا وقبل كل شىء لم يكن قارىء الملك، ولكنه أحيانا كان يقرأ فى السرادق الملكى داخل قصر عابدين فى شهر رمضان، وكان يشترك مع عشرات من كبار القراء فى ذلك الزمان، وإذا كان أحد القراء يستحق هذا اللقب « قارىء الملك » فهو المرحوم الشيخ مصطفى إسماعيل، الذى كان قارىء الملك بحق، ثم أصبح قارئا للثورة، وعلى أساس قاعدة ثابتة ولا تتغير وهى خياركم فى الجاهلية.. خياركم فى الإسلام ! وهى ليست كلمات كذب فقط، ولكنها نكران للفضل وعدم أعتراف بالجميل، وهى صفحات كنت لا أود أن أصف بها الشيخ أبو العينين شعيشع الذى تعرفت به وأنا شاب صغير قبل الثورة بعدة سنوات ، يومها كان الشيخ

شعيشع أحد الأصوات العظيمة فى دولة التلاوة، وقد أحدث فى بدايته ضجة كبرى فى مصر، وفى العالم العربى، لأنه كان أقرب الأصوات إلى صوت الشيخ محمد رفعت، ولذلك وقع الإختيار عليه لتكملة أشرطة الشيخ محمد رفعت التى نال منها الزمن. وقام بهذا العمل الجليل مع زميله الأستاذ الدكتور أحمد هيبة الذى كان يعمل أستاذا فى كلية الزراعة، ولا يستطيع أحد أن يتبين الفرق بين صوت الشيخ شعيشع والشيخ محمد رفعت فى تلك الإسطوانات والأشرطة إلا عبقرى مثل محمد عبد الوهاب، أو سميع قديم وخبير مثل كمال النجمى.

ثم حدث فى بداية الستينيات أن أصيب الشيخ بمرض خطير أصاب أحباله الصوتية فلم يستطع القراءة، ولأن الدنيا كانت بخير لاتزال، فقد اتفق الرأى لدى عسكر يوليو على إذاعة أشرطة الشيخ القديمة، مع الاستمرار فى صرف نفس المكافأة المالية التى كان يتقاضاها وهو قادر على العطاء، وظل العمل ساريا على هذا الأساس، وحتى انتقل عبد الناصر إلى رحاب الله.

هذه هى قصة الشيخ شعيشع مع عسكر يوليو كما حدثت بالتمام والكمال، وإذا كان هذا هو نوع الكلام البطال الذى يقوله الشيخ شعيشع، فهناك نوع آخر من الكلام صرح به فى رمضان قبل الماضى لمندوب الإذاعة البريطانية فى لندن، عندما سأله عن السر فى عدم ظهور أصوات جديدة مميزة فى دولة التلاوة، فأجاب الشيخ بأنها ظاهرة غريبة ومريبة أيضا، وكشف الشيخ شعيشع عن سر لم نكن نعلمه. فقد مسح الشيخ مصر كلها من أسوان وحتى الاسكندرية بحثا عن أصوات جديدة وواعدة وبتكليف من وزارة الأوقاف، ولكنه لم يعثر على صوت واحد يبشر بالخير، ولما سئل عن السر وراء هذا العقم الشديد، أجاب الشيخ:

إن السبب فى رأيه شخصيا هو الأكل البلاستك الذى يتعاطاه المصريون منذ عدة سنوات.. وهذا القول من الشيخ شعيشع على ما يحمله من سخرية هو القول الصحيح.. اختفت الفراخ البلدى، وأصبح السمن البلدى أندر من المخدرات، والعسل الأبيض تحول إلى مياه مخلوطة بالسكر، والعيش البلدى الحلو حل محله العيش الأسمنت، والسمك النيلى يحمل سمومه ويسبح بين الأمواج، واللحم الفاسد يبنى العمارات على النيل للسادة المستوردين.. ويبنى المدافن للملايين من أبناء مصر فى صحراء الهرم وفى صحراء الفيوم، ناهيك عن فراخ المزارع المحقونة بحبوب منع الحمل، وسمك المزارع الذى يتغذى من المجارى.

والطعام الفاسد ينتج أحبالا صوتية فاسدة، والنتيجة كما نشاهدها اليوم ونلمسها جميعا، سواء فى مجال الغناء أو فى مجال التلاوة، وصار التقليد هو العملة السائدة.

الدكتور نعينع مثلا هو الصوت المفضل الآن لدى أجهزة الإعلام، مع أنه نسخة مقلدة من الشيخ مصطفى إسماعيل. وهناك عشرات من القراء يقلدون الشيخ الطبلاوى، والباقون لا يقلدون أحدا لأنهم لا يستطيعون، ولا يقولون شيئا لأنهم ليسوا مؤهلين وليسوا قادرين، وأصبحت المسائل سهلة، لأن كل مايذيعه التليفزيون بالذات من أصوات فى مجال التلاوة هى أصوات مضروبة، ولو ظهر أصحابها فى منتصف القرن لكانت أسمى أمانيهم هى التلاوة فى مقابر الإمام الشافعى، لأن قراء قرافة الإمام الشافعى فى تلك الفترة كانوا بالتأكيد أرفع مستوى من قراء التليفزيون هذه الأيام، تبقى الإذاعة، ويبقى لإذاعة الشرق الأوسط فضل علينا وعلى المستمعين بشكل عام، ولأنها احتفظت لنفسها بصوت عبقرى الحنجرة والقلب الشيخ محمد رفعت، ولكن الإذاعة بوجه عام فرطت فى حقها وفى حقنا أيضا، عندما أهدرت تراثها

العظيم من تسجيلات أصحاب الأصوات النادرة.

ونعود مرة أخرى إلى الشيخ شعيشع الذى كان طالبا بمدرسة المنصورة الثانوية، شاب حكم عليه جميع الأساتذة بأنه لا يصلح لشيء، لأنه أبدا ساهم على الدوام، وكان الغريب فى أمر الفتى أنه كان على الدوام يحرك شفتيه بكلام خافت.. وكان الذين يجاورونه فى الفصل يعلمون أنه يرتل القرآن، ورسب الطالب عاما وأعواما كثيرة، واستدعى الناظر أخاه الكبير ليقول له: إن أخاك لا يصلح هنا.

كان هذا آخر عهد «أبو العينين شعيشع» بالمدرسة، وخرج الشيخ أبو العينين إلى الشارع، يسهر كثيرا فى الموالد ويحوم حول المنشدين فى الأسواق، ويطرب كلما سمع أن أحدا من كبار القراء سيسهر الليل فى المنصورة، وكان أخوه «الشيخ أحمد شعيشع» من مشاهير القراء فى المنصورة، فكانت فرصة طيبة للسيد أبو العينين أن يذهب معه كل مساء إلى كل مأتم أو ليلة مولد يحتفل بها.

وسمع الشيخ أبو العينين فى الليالى الكثيرة التى سهرها الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى، والشيخ محمد الصيفى، والشيخ محمد رفعت، وذات ليلة كان الشيخ أحمد متعبا، فحل محله الشيخ أبو العينين، وسمعه الشيخ رفعت فأعجب به، وتنبأ له بمستقبل باهر، ثم لم يلبث الشيخ أبو العينين أن نزح إلى القاهرة، وكان ذلك فى عام ١٩٤٢، فقد سمعه رجل من رجال القصر الملكى، فاستدعاه ليقرأ فى الإذاعة، ومنذ ذلك الحين والشيخ أبو العينين لا يفارق الشيخ رفعت، الذى اتخذ منه تلميذا له، واتخذ الشيخ أبو العينين من القاهرة مقرا له، ولم يلبث أن نزح إليها الشيخ أحمد شقيقه الأكبر بعد أن اعتزل القراءة فى المنصورة، وعاش ليرعى شئون أخيه.

وفى عام ١٩٤٨ بلغ أجر الشيخ أبــو العينين مائة جنيه فى الليلة الواحدة، وأصبح يتقاضى خمســة وعشرين جنيها عن كل إذاعة له من محطة القاهرة، وهــو مبلغ لم يصل إليه حتى الآن سوى أربعة من كبــار القــراء، مصطفى إسماعيـل، وعبـد الفتــاح الشعشــاعى، ومحمد الصيفى، والشيخ أبو العينين.

وعنـدما تـوفيت ملكــة العــراق سافــر الشيخ إلى بغــداد ليحيى مأتمهــا بدعـوة رسميــة من الحكومــة العــراقية، وتقــاضى فى تلك الرحلة ثلاثة آلاف جنيه، وفى عــام ١٩٥٢ استدعته الإذاعة المصرية ليقوم بتكملة أشرطة المرحوم الشيخ محمد رفعت.

والذين يستمعــون الأشرطة الآن لا يستطيعــون ببساطــة تمييز صــوت الشيــخ شعيشع أثنــاء التــلاوة، السبب فى ذلك أن الشيخ أبوالعينين كان يقرأ بطريقــة الشيخ رفعت قبل وفاته، وكان الشيخ رفعت يــرضى عنهــا كثيرا، إن الشيخ أبــو العينين فى الخامســة والسبعين من عمــره؛ وكان يـرتدى الكــاكولا والطــربوش، مخالفــا بذلك الزى التقليــدى للمشايخ الذين ظهروا فى دنيــا التلاوة، ولكنه اضطر إلى خلع الطربــوش عندما زار تركيا، وكــان مندوب السفارة المصرية فى انتظاره بالمطار، وحــذره المندوب من ارتداء الطربوش فى اسطنبــول لأن عقوبــة ارتــدائه السجن، فخلع الشيخ الطربــوش، وتعمم بمنديل، ثم تعمم بعد ذلك بشال أبيض.

ولكن ســوء الحظ تدخل فى حيــاة الشيخ وهو فى قمــة عنفوانــه وشبابه، فقد أصابه مرض غــريب أثر على أحباله الصوتية، ثم مات أخوه الشيخ أحمد الــذى كان بمثابــة الوالــد، ولكن الشيخ استطاع بالصبر أن يهزم مــرضه، وعاد إلى القــراءة من جديد، ويســافر كل عام إلى الخارج لإحياء ليالى شهر رمضان المبارك، وأشرطته تسجل أرقامــا عالية فى التــوزيع، كما أنه يلعب الآن دور الكشــاف فى لعبة

كـرة القدم، ولـه جـولات واسعة فى ريف مصر لإكتشـاف المواهب الجديدة، وله رأى فى عدم وجود أصوات جديدة واعدة.

والسبب فى رأى الشيخ أن الكتـاتيـب اختفت فى الـريف، كما أن الأكل البلاستيك والماء الملوث، واستخدام الأسمدة الكيمياوية أثرت عضويا على صحة الإنسان، وهـو رأى صحيح بالتأكيد، لأن الناس زمان كـانت تأكل الطعام الطبيعى بلا كيماويـات ولا تلوث.. ولهذا السبب كـان فى مصر أكثـر من عشريـن قـارئا للقـرآن من فصيلـة العباقرة، اجتمعوا جميعا فى وقت واحد فى بداية القرن العشرين.

والآن.. ربما لا يـوجـد من صنـف العبـاقـرة إلا شـخص أو شـخصان، والباقون من صنف البلاستيك كـالطعام الذى يأكلونه، ولا يـزال الشيخ شعيشع يعيش بيننـا، نفحـة من نفحـات الماضى الجميل الذى عاشه المصريون وسعدوا به.


ألحان السماء
صوت
عموم
المسلمين

صوت الإنسان مثل لون عينيه ليس له دخل فيه وليس له دلالة.

العيون الخضر مثلا لا تدل على أن صاحبها مغفل أو ذكى أو حريص أو نواسى الطبع يرتكب الإثم ويفخر به ولا يبالى!

والصوت القبيح قد يكون لصاحب نفس طيبة، والصوت الجميل قد يكون لشيطان رجيم!

والشيخ عبد الباسط عبد الصمد له صوت جميل ونفسية طيبة أيضا، وعندما يكون لك نفسية طيبة وصوت قبيح، فلن تكسب شيئا. فإذا كان لك صوت جميل ونفسية من أى لون فستصبح ثرياً وشهيراً قبل أن تبلغ الثلاثين، فإذا كان صوتك من معدن الشيخ عبدالباسط، فأنت تستطيع أن تدخل التاريخ كصاحب صوت وطريقة من أجمل ما عرفته دولة التلاوة فى تاريخها الطويل .

بدأ الشيخ عبدالباسط يعشق سماع القرآن الكريم من المشايخ الكبار فى مساجد أرمنت وفى مقابرها، ولكنه كان يفضل سماعه منبعثاً من ذلك الصندوق السحرى الذى اسمه الراديو.

وفى عام ١٩٣٩ كان هذا الصندوق أندر من الذهب، وكان فى أرمنت كلها راديو واحد يبعد عن بيت الشيخ عدة أميال، وكان الشيخ يذهب حيث يوجد الصندوق مرتين كل أسبوع، مرة فى يوم الثلاثاء ومرة أخرى فى يوم الجمعة، وهذه اللحظات التى كان يقضيها بجوار الصندوق هى أسعد لحظات عمره.

كان يجلس مستندا على جدار الدكان، والصندوق السحرى ينبعث من داخله صوت كأنه السحر، صوت فيه شجن وفيه قوة وفيه خشوع وفيه رهبة، وفيه دعوة إلى ملكوت الله! كان هو صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت .

وفى عام ١٩٤٠ بدأ الشيخ عبدالباسط يحترف قراءة القرآن، وكانت أولى لياليه فى قريته، وفى مأتم أحد أقاربه، وقرأ عشر ساعات كاملة، ثم نقدوه أجره فى الصباح، وكان الأجر عشرة قروش فضة، كبيرة مثل العيش المرحرح وعليها نقوش بارزة تقول أنها ضربت فى عهد السلطان !

واشترى الشيخ حلاوة طحينية وملبن وكراملة وفول سودانى ولب، ووضع الباقى فى حصالة. فقد كان حلمه الكبير أن يقطع تذكرة ويركب القطار إلى بلد بعيد! وفى سن الخامسة عشرة تحقق حلمه الكبير، ركب القطار القشاش من أرمنت إلى قرية مجاورة وسهر هناك حتى الصباح، وعاد ومعه خمسة وعشرون قرشا كاملة! وكانت هذه الليلة هى تاريخ ميلاده، ففى تلك الليلة ولد قارىء جديد، صوته قوى وجميل، وهو شاب وصحته جيدة، وله أسلوب فى القراءة لايقلد فيه أحداً، وإنما هو لون جديد!

ومن تلك الليلة بدأت شهرة الشيخ عبدالباسط، وانفتحت أمامه قصور العمد والأعيان وباشوات الصعيد، وأصبح جواب أفاق، يخرج من بيته أول الشهر فلا يعود إليه إلا فى نهايته .

وتزوج وأنجب، وعبر البحر إلى بيت الله الحرام، وقرأ فى الكعبة الشريفة، وعلى مسمع من نصف مليون من البشر، بينهم الهندى والعربى والتركى وابن القوقاز والذى من نسل المغول! ثم عاد ليعيش فى قريته مرة أخرى .

وفى عام ١٩٥٠ جاء الشيخ إلى القاهرة ليزور السيدة زينب، وفى ليالى المولد كان يندس فى الزحام كل ليلة مجهولاً مغموراً، يتفرج على الأضواء والألعاب وعلى الأذكار، ويخلع نعليه ويزحف إلى داخل المسجد، ليستمع إلى القراء الكبار. وفى الليلة الختامية كان هناك أكثر من قارىء عملاق يخوضون فيما بينهم معركة حامية لإحياء مولد السيدة، ثم أدرك التعب هؤلاء المشايخ الكبار فكفوا عن التلاوة، ثم دعا بعض الناس الشيخ عبدالباسط إلى القراءة، فهو على الأقل يستطيع أن يقتل الوقت حتى يستريح المشايخ الكبار، ويستأنفوا التلاوة.

وتقدم الشيخ عبدالباسط على حذر، وقرأ وهو يتوجس شراً، والناس أيضا يتوقعون شراً، وعندما انتهى من التلاوة كان الفجر على الأبواب، وكان المسجد قد ضاق بالناس، وخرج من المسجد فى الصباح وعلى يديه ألف قبلة، ومعه أكثر من عقد لإحياء الليالى هنا وهناك، ولأول مرة أيضا وصلت إلى يديه عشرة جنيهات كاملة.. ثم عشرون.. ثم ثلاثون.. ثم خمسون، وعند ذلك قرر اعتزال الصعيد والبقاء إلى الأبد فى القاهرة، ونام الشيخ عبدالباسط فى لوكاندة الشرق فى السيدة زينب، ولم يمض عامان حتى وصل صوته إلى الاذاعة. ووصل أجره ١٢جنيها كل نصف ساعة، ووصل أجره فى الليلة إلى مائة جنيه، وغادر الشيخ عبدالباسط القاهرة إلى أرمنت ثم عاد ومعه كل العائلة، شقيقان وزوجته ونصف دستة من الأطفال .

وذاع صيت الشيخ فى كل مكان، وقفز أجره إلى مائتى جنيه ثم إلى ثلاثمائة جنيه .

والشيخ عبدالباسط طاف حول الكرة الأرضية وذهب إلى الشرق وإلى الغرب، ولم يثر انتباهه شىء فى تلك البلاد إلا المعجبون بفنه.. فى أندونيسيا مثلا كان المعجبون يقفون بالساعات ليستمعوا إليه، وفى مراكش قرأ للملك وحده، وفى باريس لم يجد مستمعين ولم يجد معجبين فشعر بالاختناق وهجرها بعد ثلاثة أيام، هجرها إلى كازابلانكا، وهو لا يذكر من باريس إلا شارع نهر الصين «السين»، وكان يحلو له أن يتنزه فيه كل مساء وهو بالجبة والقفطان .

والشيخ عبدالباسط لم يؤمن بالسينما ولا بالمسرح ويحب القراءة، وأحسن كاتب قصة فى نظره هو عباس العقاد! طه حسين كويس أيضا، وهو مدمن قراءة صحف، وأحسن كتاب الصحف هو محمد حسنين هيكل ثم كامل الشناوى، ولا يغيظه فى الجرائد إلا الكذب، إنها تكذب كثيراً، روت عنه أخباراً ملفقة وقصصاً من نسيج الخيال، وأطلقت عليه اسم «براندو» وهو يشعر بالأسف لاطلاق هذا الاسم عليه، لأن براندو ممثل ولأنه أمريكانى، ولكن الشيخ يتسامح مع الصحفى حتى لو أساء إليه !

والقارىء فنان، وبعضهم يستطيع أن يصبح مطرباً ويبسط الناس، ولكن القارىء يكسب أضعاف المطرب، إنه لا يحتاج إلى مؤلف ولا إلى تخت ولا إلى كورس ولا إلى ملحن. لأن الملحن هو علم أحكام القراءات .

والشيخ عبدالباسط لم يقرأ شعراً ولم يهتم بالشعراء، وسمع أن هناك رجلاً اسمه شوقى، ولم يعلم إن كان حيا يرزق أو طواه القبر، ويعرف أن توفيق الحكيم هو رئيس الشعراء، وكان أحيانا

يسع الأغانى، وأحسن مطرب لديه كـان محمد عبدالوهاب، وأحسن أغـانيه هـو فى الليل لماخلى، وفـايت على بيت الحبايب، وعبـدالحليم حافظ مش بطال، وأم كلثوم معجـزة.. فلتة لن يجود بمثلها الزمان! إنها فى الطـرب مثل الشيخ محمــد رفعت فى التـلاوة، وكـلاهما عبقرى وكلاهما فيه سحر من عند الله .

ولكن أشرطة رفعت التى تـذيعها الاذاعة الآن تسىء إلى الشيخ، إنها صدى هزيل لصوته الحقيقى، الذى هو بحق أعجوبة الزمان !

وكان يـؤمن جدا بالحديث الشريف: «اعمل لـدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

وقـد عمل لدنيـاه، أحب الأسفـار والـرحلات، وأنفق عن سعـة، وسكن فى شقة فاخـرة، وكان فى مكتبه تليفون أخضر، وكـانت لديه عربـة شيفروليه آخر مـوديل، وكما عمل لدنياه عمل لآخـرته، ومن أجل آخرته دخل مؤسسا فى بعض الشركات، وأقام فى أرمنت عمارة ضخمـة، ولكنه لم يملك أرضـا ولانقـوداً، ولكنه كـان يملك الستر، وكان دائما يسأل الله أن يديم الستر عليه !

وكان يميل فى حيـاته للعـزلة، كما كـان يكره الاختـلاط، وكانت وسيلته الـوحيدة للاتصال بـالناس هى الخطابـات، وكان يضع فى درج مكتبـه ألف صورة لـه يضعها فى خطـابات فى لـون البنفسج ويرسل بها إلى المعجبين فى كل مكان .

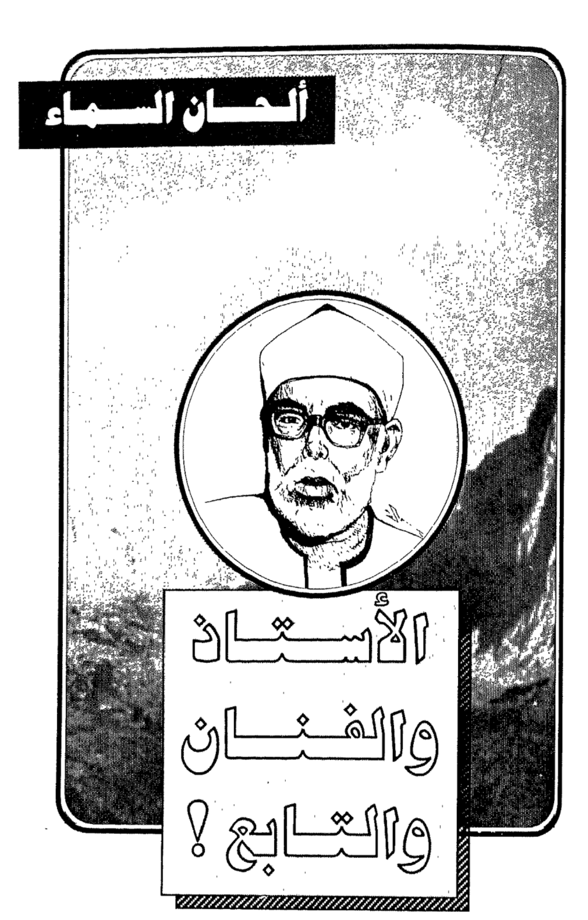
كـانت هوايتـه الـوحيدة هى قضـاء عـدة أسابيع كل شتـاء فى أسوان والاعتكـاف فى منزلـه طوال العـام والعبث بحبـات مسبحة نادرة خضراء فى لون البرسيم.. ولون السيارة والجبة.. والتليفون .

ولكن ولأن الأقدار بيد السماء ـ على رأى عمنـا زكريا الحجاوى يرحمه الله ـ فقـد أصيب الشيخ عبد الباسط وهو فى ريعـان شبابه وقمـة مجده بمـرض السكـر اللعين. نـال المرض من صحتـه ومن

صوته، فلم يعد هو الشيخ عبدالباسط الذى نعـرفه، انهكه المرض وظهـرت آثـاره على صـوتـه الجميل، وداخ الشيخ بحثـا عن دواء يصلح ما أفسـده الدهر، ولكن سعيه لم يشفع لـه، فما هو مكتوب على الجبين لابـد أن تـراه العين، وحـدث أن جـاء أحـد الأمـراء إلى القاهـرة واتصل بالعبـد لله طالبـا منى القيام بـواجب نحو الشيخ عبدالباسط، فقـد جاء إلى القاهرة ومعـه دواء من حبة البركة يحقق الشفـاء للشيخ الـذى بهر الجميـع وأحبـه الجميع ، وسـألت عن الشيخ، واكتشفت انـه يقضـى فترة فى المدينـة المنـورة بجـوار قبر الرسـول، وحـدد لى موعد حضـوره، واتصلت بـه فى المساء وأجابنى صوت مشروخ من شـدة البكاء، وعندما سألتـه عن الشيخ أجابنى فى حزن شديد :

لقد مات منذ ساعات .

رحم الله الشيخ عبـدالبـاسط عبـدالصمد، الـذى أحبـه الملايين وعشقوه.. من أمريكا حتى الصين !


ألحان السماء
الأستاذ
والفنان
والتابع !

خارج مصر .. وفى كل أنحاء العالم الإسلامى، كانوا يطلقون عليه شيخ القراء المصريين، وهى تسمية خطأ، والصحيح أنه شيخ المقارىء، والمقارىء هى إدارة رسمية، وكان المرحوم الحصرى هو شيخها بلا منازع، أما شيخ القراء فى عصر الشيخ الحصرى فكان الشيخ مصطفى إسماعيل صاحب الحنجرة الذهبية، وبوفاته احتل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد مكانه بلا منافس، فهو صاحب الحنجرة الفضية، وأحد أعلام القراءة فى العصر الحديث !

والشيخ الحصرى رحمة الله عليه كان صاحب مدرسة مميزة فى الأداء، ولكنه لم يكن من الطبقة الأولى بين القراء. وكان أقرب إلى الشيخ محمد الصيفى، وكلاهما عالم فى القراءات وأستاذ فى التجويد، وكلاهما حجة فى القراءات الصحيحة.. ولا يزيد! والفرق بين مصطفى إسماعيل ومحمود الحصرى هو ذاته الفرق بين الأديب نجيب محفوظ وأستاذ الأدب فى الجامعة وهو نفسه الفرق بين المدرب الجوهرى ومحمود الخطيب.. فالأول مدرس والثانى فنان، ومن السهل إنتاج ألف أستاذ، ولكن من العسير خلق فنان واحد، لأن الفنان من صنع ربى، وليس من صنع المدرس والجامعات!

فى استطـاعة أى إنســان أن ينشىء جامعـة لخريج ألف متعلم، ولكن ليس فى استطـاعة أى مخلـوق أن ينشىء مـوهبة حتى ولـو كانت ضئيلـة الحجم أو قصيرة القامـة، لأن الموهبة نبتة غـريبة فى حقل البشرية، وهى هبـة إلهية، ثم تجربـة وتحصيل بعد ذلك. كما أنها لا تتكـرر، فهـى طلقـة واحـدة ســـواء استقـرت فى الهدف أو طاشـت فى الفضاء! ولقـد كان الحصرى عـالما فذا ومتعلما عظيما، وكان دارســاً ومدرسـاً، وترك بمـوته فـراغاً كبيراً لأن أغلـب القراء الـذين على قيد الحيـاة الآن لم يحصلوا تعليمـه، ولم يبلغوا علمـه، وبعضـهم مـوهوب، والبعض الآخـر لا فن ولا معـرفة ولا رغبـة فى شىء من هذا.. ولا أمل !

وما أكثـر القراء العظـام الذيـن ظهروا فى مصر منـذ بدايـة هذا القرن، وكان من بين هؤلاء أستاذ جـامعى هو الدكتور أحمد هيبة، وكان يتمتع بصـوت قوى وقـرار سليم، ويعتبر واحدا من اثنين فى مصر يجيـدان تقليد صـوت محمد رفعت، وكـان الآخر هـو الشيخ أبوالعينين شعيشع.

حرص الـدكتور هيبة على أداء صلاة الجمعـة فى مسجد فضل باشـا بالجاميـن، وهو المسجـد الذى ظل الشيخ رفعت يقـرأ فيه حتى مات، وقـد تنازل الدكتور هيبـة عن أجره من اذاعة القـاهرة، ولكنـه كان يقبل أجـره من الاذاعـات الخارجية، ورفض فى الـوقت نفســه كل العروض التى عـرضت عليـه لاحتراف التلاوة، وآثـر أن يكون هاويـا فى دولة التلاوة ويمارس وظيفته كأستاذ للحشرات فى كلية الـزراعة، وظل رافضاً إلى آخـر يوم فى حياتـه لجميع العروض التى عـرضت عليه القـراءة فى المآتم والحفـلات العـامة، ولـذلك لم يشتهر الدكتور أحمد هيبة جماهيريا بما فيه الكفاية، وظل حريصاً على أن يتمتع بكل الفضائل التى يجب أن يتحلى بها قارىء القرآن، وعندما مـات الدكتور أحمد هيبة ترك وراءه ثـروة من الاسطوانات

القـديمة لعباقرة دولة التلاوة وأساتذة فن الانشاد الدينى .

وكان من بين هؤلاء العظام الـذين ظهروا فى دولة التلاوة الشيخ محمود عبـدالحكم، وكانت لأدائه نكهة خـاصة، وبـالرغم من أدائه الفذ وصـوته المحبب إلى النفوس وانتشاره الـواسع فى جميع أنحاء العـالم الإسلامى، فقـد ظل يعيش عيشة متـواضعة، لأنـه لم يكن يحدد لنفسـه أجـراً، وكان يفضل مشـاركـة مصطفى إسماعيل فى المآتم والحفلات العامـة، وكان يقبل أى أجر يقدمه إليـه ويدسه فى جيبه دون أن ينظـر إليه ولم يحدث فى حيـاته كلهـا أن اختلف مع أحد من أبناء مهنته .

وكـان الشيخ محمـود على البنا مـن اللامعين فى دولـة التـلاوة وكانت له طـريقة خاصة ومتميزة، ومن أغرب الأشيـاء أن العبد لله وقع بصره أول مـرة على الشيخ محمـود على البنـا كـان فى حقبـة الأربعينيـات، وفى مبنـى جمعيـة الشبـان المسلمين، وكـان الشيخ محمـود على البنا أحـد أفراد فـريق المصارعـة بالجمعيـة، وعندمـا احترف التلاوة استطاع أن يشق طـريقه بسهولة وبسرعـة فائقة إلى الصفــوف الأولى، فصــــار فى وقت قصير نـــدا للشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

والشيخ محمود على البنـا يمتاز بأنـه صاحب رؤية سيـاسية وصاحب موقف أيضـا، وكان ناصريا ومعجبا على نحو مـا بانحياز حكومـة عبدالنـاصر إلى صفوف الفقـراء.. وظل حريصـا على قراءة القرآن فى بيت عبدالناصر فى مناسبة الاحتفال بذكراه كل عام، وكما كـان جميل الصوت، كـان أيضـا جميل الصورة، وكـان خير سفير للإسلام بكل مكان يحل فيه.

حـدث أن حـاصره مئات الألـوف من المسلمين فى أنـدونيسيـا ومنعوه من الانصراف ولم يتركوه إلا بعد أن ظل يقرأ لهم لمدة ست

ساعات متصلة، وقد اقترح بعـد نكسة ١٩٦٧ أن يسافر ضمن وفد من كبار القـراء إلى جميع الدول الإسلامية فى آسيا وافـريقيا لجمع التبرعات لصـالح إزالة آثار العدوان، ولكن الـدولة رفضت الاقتراح، ومات الشيخ محمود على البنا بعد مـرض خاطف لم يمهله طويلاً. وخسرت دولـة التـلاوة صـوتـاً من أعـذب وأجمل الأصـوات التى عرفتها فى تاريخها الطويل.

ثم ظهر الشيخ هريدى الشوربجـى وهو من الأصوات الذهبية، ولكن أحـدا لم يهتم بتسجيل صـوت الشيخ النادر، ولـذلك ضـاع صـوته بعـد موتـه مع أنـه عاصر الاسطـوانات وشهـدت فترة من حياتـه عصر أشرطة التسجيل، كما كـان هناك الشيـخ محمد مجد، والشيخ شفيق أبـوشهبـة قارىء جمهـوريـة زفتى بـالاضافـة إلى الشيخ محمد سعودى قارىء طنطا والشيخ شتات قارىء الجيزة.

ولكن أغـرب ظاهرة فى دولـة التلاوة هـى ظاهرة الشيـخ مهدى السـودانى، وهـو قارىء مصرى سـودانى، وكـان نمـوذجاً رائعـا لـوحـدة وادى النيل، وقـد عـاش الشيـخ مهـدى فى حى عـابـدين بالقـاهرة فى صـدر شبابـه، وعندما استمـع إلى الشيخ على محمود أول مرة قرر أن يتبعـه كظله، وصار الشيخ مهدى جـزءا من حياة الشيخ على محمود، يتـواجد فى المكان الـذى يوجـد فيه الشيخ على ويكـون أول الحضـور فى حفـلات الشيخ ، ويكون آخـر المنصرفين من حضرة الشيخ على، ولهذا فقد الشيخ مهـدى شخصيته وذاب فى شخصية الشيخ على فأصبح يتكلم مثله ويقـرأ على طريقته وينشد التواشيح بأسلوبه، ويكح كما يكح الشيخ على، وكأنه كوكب صغير يدور حول الشمس وإلى الأبد.

وقد نجح الشيخ مهدى فى أن يصبح عضواً فى بطاقة الشيخ على محمـود، وقبل أن يمـوت الشيخ على بفترة قليلة، وعنـدمـا استقلت السـودان عـاد الشيخ مهـدى إلى أرض الجذور، فحمل الجنسيـة

السودانيــة وترك مسقط رأســه ومرتع صبــاه فى عابــدين وعاد إلى الخرطوم، ولكـن أين صخب الحياة وبهجتهـا فى عابدين مـن هدوء الخرطوم؟

أصيب الشيخ مهدى بصدمة كبيرة من شوارع الخرطوم الهادئة الخاليـة من المارة، ولعدم وجـود المقاهى الشعبيـة الساهـرة حتى الصباح كما كـان الحال فى سوق الاثنين، وفى حى البـلاقسة، وراح يجتر أيامه مع شلـة من الأصدقاء من أبناء الجاليـة المصرية، وظل الشيخ مهدى حريصـاً على قراءة القرآن بالسفـارة المصرية فى عيد ثورة يوليـو، كما كان حريصاً على زيارة القاهـرة كل صيف لرؤية الأهل والأقارب الذين آثروا البقاء فى مصر والاقامة فى عابدين.

والغـريب أنه مـات بعيـداً عن وادى النيل الـذى أحبه، ووافـاه الأجل المحتوم فى رحلـة حج إلى بيت الله الحرام، ودفن فى البقيع مع الصحابة والتابعين! ويخشى العبد للـه أن يكون قد نسى أحداً من نجـوم دولـة التـلاوة، وإن كان من الضرورى أن أتعـرض لـذكـر الشيخ على، وهو أحد القراء الذين ظهـروا فى بداية القرن، وكان من السهل عليـه أن يحتل مكـانا لائقـاً بـه تحت الشمس، ولكن حظـه السيىء أصابه بمرض فى صوته أجبره على التوقف.

ولما كـان الشيخ على يتمتـع بتكـوين جسمانى يشبــه تكـوين الملاكم، قامــة فارعة وصدر عـريض وعضلات مفتولـة، فقد اكتفى بحضور حفلات المآتـم والمناسبات التى يحييها كبـار القراء، وكان محلـه المختار على مقعـد بجوار دكـة القارىء، وكـان يقوم خـلال السهـرة بدور المطيبـاتى للشيخ الصييت، ويقضــى السهرة يكـرر بعض العبـارات استحسانـا لصـوت القـارىء وتشجيعاً لـه، وهى عبارات محفـوظة وقـديمة ومكررة مثـل.. يامشبع، صلى على البنى كـــده واشرع، صلى على حضرة النبـى ﷺ، وهى مهمـــة لايـــزال يمارسهـا حتى الآن مئـات مـن غير الموهـوبين، ويحصلـون آخـر

السهـرة على مايجود بـه القراء، ولكن عمنـا الشيخ على لم يكن من النوع الـذى يرضى بالجودة التى هى من الموجود، لكنـه كان يصر على مشاركة القارىء فى الأجر الذى حصـل عليه، ولأنه كان شديد القوة وشـديد البأس فقـد خضع له أغلب القـراء، ولكن سوء حظ الشيخ على الذى لازمه منذ البـداية أوقعه فى شر أعماله، فقد تحرش بأكبر رأس فى دولـة القراء وهـو الشيخ محمـد رفعت، وكان سـوء حظه مضـاعفاً لأن السرادق الذى شهـد الحادث كان مقـاماً فى حى المدبح.

وفى تلك الليلة رفـع الشيخ على يده وهوى بها على وجـه الشيخ رفعت، ولكن كفـه لم تصل إلى وجه الشيخ ، لأن الشيخ على نفسـه كـان قد سقط على الأرض، وأتحفـه عشاق الشيخ رفعت بعلقـة لم يأكل مثلها حمار فى مطلع، وكـانت هذه هى آخـر مرة يشاهـد فيها الشيخ على فى الحياة !

وإذا كنا قد تعرضنا لحياة العظماء مـن أبناء دولة القراء، فلابد قبل أن نسدل الستار على الماضى المجيد أن نتعرض لتاريخ الرجل الذى كـان له الفضل الأول فى إحياء دولـة التلاوة، وهـو الذى فتح الطريق ومهـده وفرشه بالـورود والرياحين.. عمنا ومـولانا فضيلة الشيخ ندا سلطان دولة التلاوة فى العصر الحديث !


ألحان السماء
وأجبروا
الشيخ
على الغناء!

قليلون جـدا يعرفـون أن محمد عبـد الوهـاب ـ فى صـباه ـ كان يعـرض الحانه على اثنين من كبار القراء أحـدهما الشيخ على محمـود ، والثــانى رجل يـدعى الشيخ حسن المناخلى .. وكان عبـدالوهب يلجأ إليهما كلما واجهتـه مشكلـــة عـويصـــة عنـــد أداء لحن من الألحان.. وكـان الشيخ المناخلى يتمتع بصـوت جميل وأداء قلما تجد لـه نظيرا بين القراء ، واستطـاع الشيخ المنـاخلى أن ينتزع الشهـرة بطريقـة فـذة ، فقد كـان يشترك مع الشيخ منصـور بـدّار فى إحيـاء ليلـة بحى السلخـانة ، وكـان الشيخ بـدّار معروفـا بمهارتـه فى «سرقة» الجمهـور ، فقد كـان لا يدع الفـرصة لـزميله ليقرأ الوقت المخصص له .. فقد كانت طريقته فى الأداء ـ مع ما له من صـوت جميـل ـ تجعـل الجماهير تصر على سماعه حتى النهـاية ، فضـلا عن أنه كـان فى قمة الشـهرة .

وكان الشيخ المنـاخلى فى بدء حياته .. ولم يكن قـد ذاع صيته بعد ، وعنـدما انتهى الشيخ بـدار .. عـادت الجماهير تلح عليه أن يـواصل قراءته ، فاستجاب لها ، وعندما انتهى ارتفعت الأصوات من كل جانب تطلب إليـه مواصلة التـلاوة حتى الصباح ، وعنـدما هم الشيـخ بدار

تقدم منـه الشيخ المناخلى ، ودفعـه بيده فألقى بـه من فوق «الـدكة» وأخـذ مكـانـه ، وهـاجت الجماهير ، وهمت بضرب الشيخ المنـاخلى ، ولكنها سكتت وهـدأت بعد أن استمعـوا اليه ، وعنـدما انتهى، أصرت الجماهير على أن يـواصل التـلاوة ، وانسـحب الشيخ بـدار ليلتهـا من الحفل .. بعـد أن تمكن الشيخ المنـاخلى من «سرقـة» جمهـوره بنفس الطريقة التى كان يتبعها الشيخ بدار .

وعاش الشيخ المناخلى يقرأ عندمـا يريد ، وليس كلما طلب إليه أحد من الناس ، ولذلك لم يربح كثيرا .. وكـان يكسب ما يكفيه ، ومات قبل إنشاء محطة الإذاعـة .. وترك عدة اسطوانات قليلـة ضاعت بعد ذلك ، ولم يعـد أحد يعـرف أين ضاعت ؟ وقبل أن يمـوت لحن عدة قصـائد «يـاقوتى الشفتين فـالج السنتين» ، وتوشيح «كـالبدر ليلـة التمام» ، وتعتبر هاتان القطعتـان من أروع ما لحن فى الموسيقى الشرقية ، وظل عدة سنـوات يرفض القـراءة فى الحفلات ، وكلما سُئل عن سر عـزوفه عن التلاوة قـال : إن الناس تسمعنى وتسمع الشيخ البربـرى ، وكان هـو ـ يـرحمه الله ـ لا يـرضى عن طـريقة الشيخ البربـرى وغيره من مشاهير عصره .

●●●

لم ينل قـارئ فى عصره ، وفى إقليمه من الشهرة مثلما نـال الشيخ صـديق المنشاوى ، والـد الشيخ محمـد صـديق المنشاوى «قـارئ الإذاعة المعروف» ، رفض أكثر من مرة أن يـذيع رغم العروض المغرية التى عرضت عليه ، وأخيرا منذ حوالى ٤٠ عاما سافرت بعثة من رجال الإذاعة إلى قنـا لتسجيل شريط للشيخ المنشاوى .. وقبل الـرجل هذه المرة ، وتمت إذاعة الشريط اليتيم له فى محطة الإذاعة .

نشأ الشيخ صديق المنشـاوى وعاش فى مديريـة قنا ، وذاع صيته فيهـا وفى الأقـاليم المجاورة ، واتصل فى شبـابـه بـالشيخ أبوالـوفـا الشرقاوى فطـرب لصوته ، وجعله من خـاصته ، ورفض الاشتراك فى

احياء الليالى خارج حدود مديريتى قنا وجرجا ، وعاش حياته كلها لايساوم على الأجر ولا يتفق عليه !

حدث مرة قبل الحرب الأخيرة بأعوام ـــ وكان الشيخ المنشاوى يتقاضى جنيها واحدا عن كل ليله ـــ حدث أن كان يقرأ فى مأتم أحد أعيان قنا ، وفى آخر الليل دس شقيق الميت «بشىء» فى جيب الشيخ المنشاوى ، وانصرف الشيخ دون أن يلقى نظرة على هذا الشىء واكتشف الشيخ وهو فى المنزل أن الشىء الذى دسه الرجل فى جيبه مليم واحد لا غير ! وقبل أن يفكر فى هذا الذى حدث ، كان الرجل صاحب الليلة يطرق باب الشيخ ليعتذر له عن الخطأ الشنيع الذى وقع فيه ، فقد كان فى جيب الرجل جنيه ذهبى ومليم ، وكان ينوى إعطاء الجنية للشيخ ، فأخطا وأعطاه المليم ، ولكن الشيخ المنشاوى رفض أن يتقاضى شيئا فوق المليم قائلا :

«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» .

وكان للشيخ المنشاوى ولدان أكبرهما الشيخ محمد صديق المنشاوى القارىء المعروف ، والثانى كان ذا صوت جميل وموهبة حسنة ،وكان يقرأ القرآن والتواشيح ،وفى ليلة من ليالى عام ١٩٣٩ وقع عقدا مع إذاعة الشرق الأدنى ، واستعد للسفر إلى القدس ، ولكنه استيقظ عند الفجر فقد استبد به القلق ، وضايقه الحر ، ووقف برهة ينظر من النافذة فى الدور الخامس ، ولم تمض دقائق حتى شعر بإغماء سقط على أثره من النافذة إلى الشارع فمات ، وفى مأتمه قرأ الشيخ محمد رفعت ، والشيخ على محمود ، وغيرهما من مشاهير القراء ،فقد كانوا جميعا أصدقاء لوالده الشيخ المنشاوى ، وكان الشيخ رفعت يعتبره أستاذا فى التلاوة ، وصاحب مدرسة فنية فى التجويد .

وظل الرجل حتى مات وفيا لعهده فلا يقرأ خارج حدود مديريته ،

ولا يساوم على الأجر، ولا يتفق عليه ،مرة واحدة فقط هجر إقليمه وجاء إلى القاهرة ليقرأ القرآن ثلاثة أيام متتالية ،حدث ذلك فى عام ١٩٤٩ . وفى مأتم الشيخ محمد رفعت ،ولكن الظروف أجبرته مرة أخرى على زيارة القاهرة عندما أقنعه المذيع اللامع فهمى عمر وبلدياته بالحضور إلى القاهرة لإجراء اختبار لصوته فى الميكروفون.

وحضر فعلا للقاهرة ،وقام الفنيون باختبار صوت الشيخ ،ولكن النتيجة للأسف الشديد كانت بالسلب ،وليست بالإيجاب ،لأن الأصوات لسوء الحظ كالوجوه ،وبعض الوجوه الجميله لا تصلح للتصوير ، وأيضا بعض الأصوات الجميلة لا تصلح للميكروفون، والعكس أيضا صحيح.

ومن سوء حظنا أن الشيخ صديق المنشاوى الكبير كان صوته من هذا النوع!

وفى عام ١٩٣٧ اكتشف مفتش بيطرى بتفتيش بهتيم صوتا جديدا يرتل القرآن فى نغم رتيب حبيب، يشبه إلى حد كبير صوت المرحوم محمد رفعت،وكان صاحب الصوت الجديد هو الشيخ كامل يوسف البهتيمى.

وفى عام ١٩٣٨ قدم الدكتور والأستاذ الجامعى أمين زاهر، الشيخ كامل إلى الأستاذ محمد فتحى الإذاعى المعروف.

وفى اليوم التالى كان الشيخ كامل يذيع من محطة القاهرة، وبأجر قدره ٥٠ قرشا عن كل إذاعة.. وعندما قامت الحرب قفز أجر الشيخ إلى خمسة جنيهات ثم إلى عشرة.. ثم إلى خمسة عشرة.

وفى عام ١٩٤٤ سافر الشيخ إلى فلسطين ليذيع من محطة الشرق الأدنى، وبأجر خمسمائة جنيه فى شهر رمضان.. وفى العام الذى يليه ـ ١٩٤٥ ـ سافر الشيخ كامل إلى السودان ليقرأ القرآن فى النادى المصرى بالخرطوم طوال شهر رمضان وبأجر خمسمائة جنيه أيضا،

وعندما جاء عام ١٩٤٧ كان الشيخ كامل يذيع من محطات لندن وسوريا ودلهى والشرق الأدنى، وبأجر قدره جنيه مصرى واحد لكل عن كل دقيقة.

ولقد نشأ الشيخ كامل وعاش طفولته الأولى فى بهتيم.. ثم نزح إلى القاهرة ليتعلم القرآن فى مدرسة عثمان باشا ماهر بالقلعة.. ثم دخل الأزهر ، وقضى فيه فترة قصيرة قبل أن يفصلوه ، وكان سبب الفصل هو كثرة تغيب الشيخ كامل عن حضور الدرس.. فقد كان الشيخ يظل طوال الليل يطوف حول السرادقات التى يقرأ فيها الشيخ محمدرفعت، والشيخ على محمود وغيرهما من العمالقة، وكان الشيخ كامل لا يعود إلى منزله إلا مع الفجر، وكان الشيخ رفعت هو أول العمالقة الذين تعرف بهم الشيخ كامل، وظل الشيخ رفعت يخصه بالعطف والحنان حتى مات.

لقد ظل الشيخ كامل يبكى كلما سمع صوت الشيخ رفعت، وكانت أحب الأصوات إليه هما صوتا الشيخ محمد سلامة، والشيخ مصطفى إسماعيل ، فالشيخ مصطفى صاحب أجمل صوت بين القراء، والحادث الوحيد الذى لا ينساه حدث له فى فلسطين فى عام ١٩٤٤، حيث حاصرته جماعة من الجنود الإنجليز السكارى وطلبوا منه أن يقرأ لهم ظنا منهم أنه يغنى .. واضطر الشيخ إلى أن يغنى لهم أكثر من ساعة، وهم يتمايلون من النشوة والسرور، قبل أن يتركوه.

والشيخ كامل توفى فجأة، قبل أن يصل إلى سن الستين، وهو متزوج، وله عدة أولاد، وكان من أمنياته أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة فى القدس الشريف، وأن يحصل على جميع تسجيلات المرحوم الشيخ محمد رفعت.


ألحان السماء
مأساة
الشيخ
عمران!

قبل أن يموت الشيخ على محمود بليلة واحدة كان يقرأ وينشد التواشيح حتى الصباح، وكان يبدو عليه ليلتها أنه أقوى من أى وقت مضى، وكذلك الشيخ نداء فقد ظل يقرأ حتى مات.. رجل واحد فقط اعتزل التلاوة فى قمة مجده عام ١٩٣٧، هذا الرجل هو الشيخ منصور بدّار.

كان الشيخ بدار صديقا لسعد زغلول،ومعظم رجال الوفد المصرى عاش معهم تلك الأيام المجيدة الخالدة.. أيام ثورة ١٩١٩، وكان فى وداع سعد عندما ذهب إلى المنفى، وكان فى استقباله عندما عاد.. ورأى الإنجليز يقتلون الناس فى الطريق والوطنيين العزل من السلاح يحاربون بأصابعهم، ويموتون وعلى أفواههم ابتسامة الرضا، وأراد الشيخ بدار أن يشارك قومه. ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئا سوى أن يقرأ.. وكان الأزهر مهد الثورة، وفيه يلتقى كل مساء أقطاب الوطنية وأشهر الخطباء وعشرات الألوف من الجماهير الغاضبة الثائرة، وكان الحفل يبدأ وينتهى بصوت الشيخ بدار.. ولذلك أطلق عليه لقب « قارىء الثورة » .

وقبل ثورة سنة ١٩١٩ كان الشيخ بدار يعيش فى استنبول، فقد كان الخليفة العثمانى يحب اقتناء كل شىء نفيس.. فقرر اقتناء الشيخ بدار.. لكونه صاحب أجمل وأعذب وأحلى صوت ظهر بين أصحاب أصوات ـ مطربين وقراء ـ منذ بداية القرن الحالى حتى يومنا

هـذا، ويكفى أن الشيخ مصطفـى إسماعيل والشيخ عبـدالبـاسط عبدالصمد يتبعان طـريقته.. وربح الشيخ بدار كثيرا.. واقتنى لنفسه ضيعة كبيرة فى القليوبية، ثم فجأة اعتزل التلاوة ـ ولا أحد يدرى لماذا ـ وكان ذلك فى عام ١٩٣٧.. مع أنه قبل ذلك بعشر سنوات ظل أسبوعا كاملا يقـرأ فى مأتم الزعيم سعد زغلول.. ولم يحضر بعـد ذلك حفلات عامـة إلا مرتين.. مـرة عام ١٩٣٠ فى ذكـرى وفاة سعـد.. ومرة عـام ١٩٣٦ فى مأتم الملك فـؤاد.. وعـاش الشيخ بـدار حتى بلغ من العمـر أرذلـه، ولـزم ضيعتـه يتلـو القرآن أحيـانـا لأصـدقـائه، ويسرد على مسامعهم تفاصيل الأحداث التى عاشها بين اسطنبول والقاهرة.

سـألت مرة الشيخ السعدنى عن رأيه فى أصوات القراء ، فقال:

رفعت مثل أبـو ذر الغفارى، يمشـى وحـده ويموت وحـده، ويبعث وحده يـوم القيامة، وصوت الشيخ بـدّار كالذهب المصهـور، وصوت مصطفى إسماعيل كالذهب المسبوك، وكل قارىء، وله رائحة خاصة، وطعم مختلف، مثل حديقة الفاكهـة، فيها كل شـىء من البلح الزغلول، إلى العنب البناتى، والمهم التوفيق وخدمة القرآن!

●●●

عاش الشيخ يوسف المنيلاوى قبـل الشيخ أحمد ندا، ومات بعده، وكان صديقـا حميما للشيخ سلامة حجازى، وكـامل الخلعى.. وكان يتحيز كثيرا للمـرحوم داود حسنى، ويعتقـد أنه أعظم ملحـن ظهر فى مصر، ومن هنا قامت العداوة بينـه وبين الشيخ على محمود، ومن هنا أيضا جاءت المنافسة بين الرجلين.

وكـان حظ الشيخ المنيلاوى أضـأل مـن حظ منافسـه الشيخ على محمود، ومن هنـا أيضا امتلأت نفـس الرجل حسرة وضـاق بـالحياة، وكانت طريقتـه فى التلاوة حزينة بـاكية، ولعله القارىء الـوحيد الذى ظهر فى مصر، وكـان يستفسر رأى السامعين فى صـوته أثنـاء التلاوة، فكان يقـرأ «والشمس وضحـاهـا»ثم يـدقق النظر فى الجالسين حـوله

ويقول «إيه رأيك ياجدع»؟ وترتفع صيحات الإعجاب من كل جانب، وكان الشيخ يسر كثيرا لهذه الصيحات، فقد كان يرحمه الله يعانى مشاكل نفسية رهيبة، ربما كانت راجعة إلى ضآلة حظه فى الحياة، وكان يحز فى نفسه أنه صديق لكل العظماء فى عصره، فإذا مات قريب لأحدهم لم يدع الشيخ المنيلاوى إلا كصديق، فقد كانت طريقته فى الأداء وما فيها من غرابة تبعد بينه وبين إحياء الليالى الضخمة.

ورغم ذلك فقد ربح الشيخ المنيلاوى كثيرا، وتتلمذ عليه كثير من مشاهير القراء، منهم الشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدنى، وكان فى حياته يتعصب للشيخ رفعت، ويرفعه فوق كل القراء، وكانت عداوته للشيخ على محمود من أسباب هذا التعصب الشديد .

حدث مرة أن كان الشيخ يوسف يقرأ مع الشيخ رفعت فى ليلة واحدة، وعلى غير عادة القراء كان الشيخ المنيلاوى يقفز فرحا من فوق الأريكة، كما تلا الشيخ رفعت آية من الآيات، وعندما انتهى الشيخ رفعت كان الشيخ المنيلاوى قد انخرط فى نوبة حادة من البكاء، ورفض أن يقرأ ليلتها، وأصر على أن يواصل الشيخ رفعت التلاوة حتى الصباح .

وقبل أن يموت اعتزل الشيخ يوسف المنيلاوى التلاوة إذ لم تعد صحته تساعده على السهر الطويل، وعاد الصفاء بينه وبين الشيخ على محمود، وكان الشيخ على أول من قرأ فى مأتم الشيخ يوسف، وكان أول من شيع جنازته، وكان الشيخ يوسف أول قارىء يقام له حفل تأبين يشترك فيه كل قراء القرآن.. ولم يحتفل بتأبين أحد بعد ذلك إلا الشيخ رفعت.. ثم مضت أعوام طويلة.. ومات الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت.. ونسى الناس الشيخ المنيلاوى.. فقد مات دون أن يترك خلفه تسجيلا يذكر الناس بصوته الباكى الحزين الذى وصفه الشيخ البشرى فقال:

«كان صوته شجيا فيه حزن، وفيه توجع، وفيه شجن.

وأتساءل الآن : لماذا لم نستمع ولو لمرة واحدة فى رمضان لصوت العبقرى العظيم الشيخ على محمود، أعظم من رفع الآذان فى تاريخ الإسلام بعد سيدنا بلال مؤذن الرسول؟

ولماذا لا يذيع التليفزيون فترة نصف ساعة على الأقل من القرآن الكريم قبل آذان المغرب فى رمضان كما جرت العادة من قبل، وبشرط أن يقدم لنا الأجود والأفضل من الموتى والأحياء على حد السواء، بدلا من تقديم أصوات تشم منها رائحة الفلوس المدفوعة ثمنا للوصول إلى الكاميرا ؟ .

وأرجو أن نأخذ المسألة مأخذ الجد هذا العام، فنعهد إلى لجنة محترمة لاختيار الأصوات التى نقدمها للناس فى فترة الفجر، بعد أن كثر اللغط حول الوسائل المتبعة للوصول إلى إذاعة الفجر فى ليالى رمضان، وهى وسائل تعتمد على تطبيق المثل الشعبى القائل: «اللى يدفع القرش إبنه يزمر» ونفس الشىء ينطبق على منشدى التواشيح، الذين يقدمون التراتيل والتسابيح فى نفس البرنامج التليفزيونى .

وألفت أنظاركم قبل فوات الأوان، إلى المنشد القزم الضرير الذى يصلح مهرجا فى سيرك، أو يصلح منشدا خلف ميكروفون الإذاعة، ولكن ليس أمام عدسات التليفزيون، لأن فى منظره وطريقة أدائه مايمس هذه المهنة العظيمة، التى احترفها يوما ما العبقرى الشيخ على محمود والعبقرى الشيخ زكريا أحمد والمنشد الكبير الشيخ طه الفشنى والشيخ الفيومى والشيخ الطوخى والشيخ عبدالسميع بيومى والشيخ النقشبندى والشيخ محمد عمران.

أما قصة الشيخ عمران فهى مأساة بكل المقاييس، فلم يظهر منذ فترة طويلة فى مجال التواشيح الدينية والمدائح النبوية صوت على هذا المستوى ولا موهبة من هذا الطراز، كان الشيخ محمد عمران أحد

السائرين على درب الشيخ على محمود وأحد الـذين جددوا شباب هذا الكار بعـد أن تدحـرج عدة درجات على يـد الشيخ نصر الدين طـوبار ومدرسته، والتى أعادت فن التـواشيح إلى حلقة الدراويش والمجاذيب، ومع ذلك لم نشعر كثيرًا بـوجود الشيخ محمد عمران بيننـا، لأنه كان سلعـة جيدة، ظهـرت فى سوق المنـاخ حيث الشركـات كلها مضروبـة والأسـهم كلهـا مطعـون فيها، وحيث عمليـة البيع والشراء هى عمليـة خـداع لا أكثـر ولا أقـل ، وشيلـنى وأشيـلك ، وترعـانـى بسهم أراعيك سهمين.

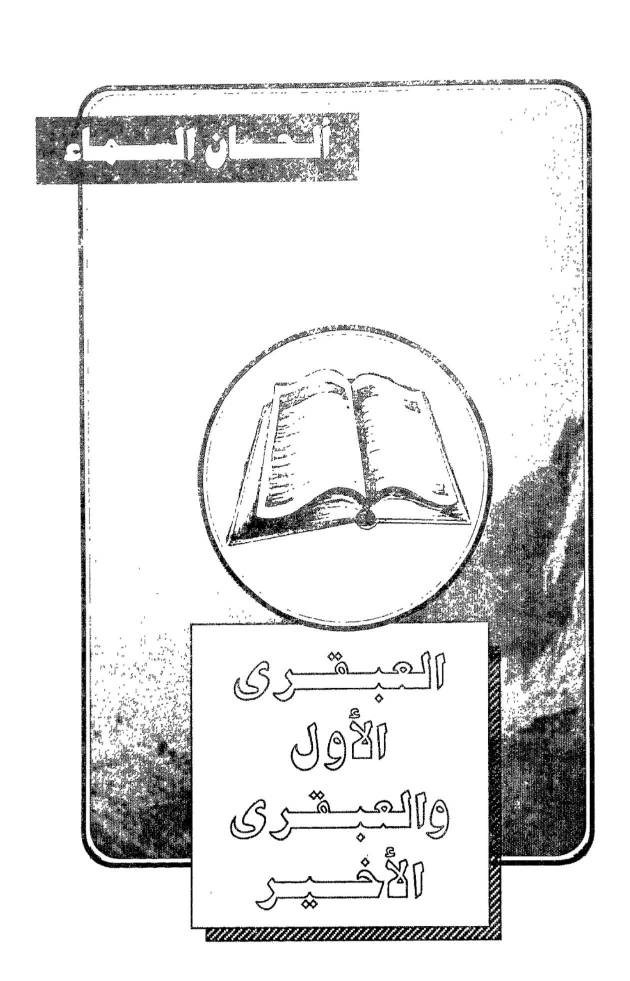
لم يظهـر الشيخ عمران فى رمضـان الماضى سـوى مرة واحـدة، بينما استعانـوا بالشيخ القزم ثـلاث مرات، ويبدو أنـه كريم وسخى وإيده فرطة ومن النوع الذى يحب الخير لنفسه وللآخرين!

المأساة أننى سمعت بوفاة الشيخ عمران بعـد وفاته بعدة أشهر، والغريب أننى سألت أصدق أصدقائه ـ جـلال معوض ـ عن نبأ وفاة الشيخ، فأبـدى دهشة شـديدة، لأنـه لم يقرأ نبأ وفـاته فى أى مكـان، ولاجريدة مصرية اهتمت بنشر الخبر، حتـى التليفزيون الذى يحرص دائما على إذاعة نبأ وفاة سنية بحبح أو على شقوير، لم يهتم بالتنويه عن وفاة الشيخ فى أحد بـرامجه الدينية، وما أكثرها هـذه الأيام، وبعد ذلك يتساءل البعض عن السر فى عـدم ظهور أصوات جديـدة واعدة.. إنها الفوضى الموجودة على السـاحة، وعدم وجود الميـزان الذى يزن الأمور بالعدل، فقارىء مثل الطبـلاوى مثلا لا يظهر فى التليفزيون إلا مرة كل عـام. بينما يظهر القارىء القلتاوى مـرة كل يوم. والسبب أن الطبلاوى صاحب صوت جميل وطريقـة جديدة فى الأداء، ولكنه عديم المفهومية ولا يؤمن بمبدأ يابخت من نفع واستنفع.

وهنـاك احتمال آخـر هـو أن يكـون المشرف على عمليـة اختيـار الأصـوات فى أجهـزة الإعـلام من النـوع الـذى لا يفـرق بين صـوت الكروان وصوت الغراب .

كما أن أذواق النـاس اختلفت الآن ، فلم يعد أحـد يفرق بين صوت الشيخ همــام وصــوت الشيخ عــلام ، وأصبـــح أحمد مثل الحـــاج أحمد !.

ولذلك انقطعت الصلة بين يـومنا هذا وتلك الأيام القـديمة العظيمة الطيبة، الأيام التى تردد فى أجـوائها أصوات الشيخ أحمد ندا والشيخ على محمـــود والشيخ القهـــاوى والشيخ الفيشـــاوى والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ محمد رفعت والشيخ الشعشاعى والشيخ محمـد سلامـة والشيخ عبـدالعظيم زاهـر والشيخ شعيشع والشيخ منصـــور نـــدا والشيخ محمـــد الصيفـى، وأخيرا الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبـدالبـاسط عبدالصمـد رحمة الله عليهم جميعـا، ونسأله سبحانــه وتعالى أن يرحم أسماعنا من أصــوات الشيخ منقار والشيخ ملقـاط والشيخ حلبص والشيخ بحبح، وكل المشـايخ فى هـذا العصر الزاهـر الميمون، عصر عـايشة الوعـد وسميرة سعيد وأصــالة ولطيفة وانوشكا والمطربة سيمون !


ألحان السماء
العبقرى
الأول
والعبقرى
الأخير

قبل ظهور الشيخ أحمد نـدا كانت قـراءة القرآن هـى مهنة من لامهنة لهم.. شخص حفظ بعض آيات القرآن بـاجتهاده الشخصى أو عن طـريق الكتاتيب التى كانـت منتشرة فى تلك الأيام، أو طالـب لم يوفق فى دراستـه فى المرحلة الابتـدائيـة.. أو رجل أعمى لم يجد وسيلة للـرزق إلا قراءة بعض الآيات فى مقـابر الفقراء.

وكـان الأجـر عشـوة فى الغالب، وأحيـانـا قـرش صـاغ، ولكن هذا القـرش صاغ كـان يكفى لإعاشـة شخص لمدة يوم كامل، وكـان إلى جانب هؤلاء بعض المشايخ الذين ينشدون التـواشيح، وكانوا معروفين عند العـامة بأولاد الليل، وكـان عملهم مقصورا على إنشاد بعض القصـائد القديمـة، وكان أشهـرها على الإطـلاق (إذا جـاء يوم العـرض والعـرش واللقـا)، وكـانت أصـوات المنشـديـن فى هـذه الفـرق تشبـه الصوت الناتج عـن خشب يحترق، أو الصوت الذى يحدثه احتكـاك عجلات قطـار بالقضبـان عند أحـد

المنحنيـات، ولم يكن لهذه الفئة أجـر معلـوم، ولكن الأمر كان يتوقف على شهامة صاحب الدار.

وفجأة ظهر شيخ أسمر اللـون، نحيف العود. وسيم القسمات، يقرأ القرآن بشكـل جميل وبطريقة مبتكرة، طـريقة تجبر السامعين على الجلوس فى أماكنهم سـاعات طويلة، وكما أثـر الصوت الجديد على عقول ومشاعـر المستمعين، فقد أحدث ثورة عـارمة بين بعض المشايخ، وكـان محور الثورة الـذى يدور حولـه النقاش والخلاف هو: هل الطـريقة المبتكرة فى التلاوة، وبهذا الصـوت الجميل، حلال أم حرام؟!

وترك الشيخ أحمد نـدا أصحاب السؤال يتنـاقشون، ومضى فى طريقه يحقق كـل يوم انتصارا باهرا، ويجمع فى كـل يوم المزيد من المريدين والأنصـار! وهكذا قلب الشيخ العبقـرى أحمد ندا الموازين كلها ووصـل أجره إلى خمسـة جنيهات عن الليلـة الواحـدة، وجاب أقاليم مصر كلهـا يسهر فى قصور البشوات ودور العمـد والأعيان، ويهرع لسماعه الألوف الذين يعجبون بصـوته، ومرة أخرى ارتفع أجر الشيخ إلى عشرة ثم إلى عشرين ثم إلى أربعين جنيها.

وظل يـرتفع أجـره بعـد ذلك إلى أن بلغ مـائة جنيـه عن الليلـة الـواحـدة، وأصبح للشيخ نـدا حنطور تجره سـتـة خيـول، وقصر يؤمـه الشعراء والأدباء ورجـال الحكم والسياسـة، وأصبحت ندوة الشيخ أحمد ندا هى الشعلة الوحيدة المضيئة وسط الظلام الرهيب الذى كان يومئذ يخيم على مصر.

ولم يـدرك الشيخ نـدا أنـه بمسلكـه هـذا يشعل النـار فى قلب الخديـو الجالس على العـرش، فكيف يجرؤ رجل مصرى من طبقـة فقيرة ومعمم على الظهـور فى مـوكب ولامـوكـب الخديـوى، ولأن الهيافـة ليس لها حدود، فقـد اصدر الخديـو (فرمانـا) بأن يكتفى

الشيخ أحمد نـدا بزوج واحـد من الخيـول يجر عـربته الفيتـون، وتصـادر العـربة والأحصنـة إذا أصر الشيخ على الظهـور فى نفس الموكب، وآثر الشيخ أحمد نـدا أن يتحاشى حماقة الخديـو فاكتفى بحصـانين اثنين لجر عـربته، ولكن بقـدر نقص أحصنتـه ازدادت شعبيته، وصـار واحدا من أعـلام مصر الخفاقـة، ونجما من نجوم المجتمع المصرى الـذى يتردد على صالـونه زبـدة أهل مصر، ويقف على بابـه أصحاب الحاجـات، وكان الـرجل كريما ينفـق على سعة، ويوزع النفحـات والصدقات، وكـان أجره قد وصل إلى مـائة جنيه ذهبا عن كل ليلة، وكان يحلو له أحيانا نثر الجنيهات الذهبية تحت أقدام أحفاده.

كـان الشيخ أحمد ندا من أوائل الـذين التفتـوا إلى موهبـة ست الكل أم كلثوم، كان يطرب لصوتها ويقبل على سماعها فى أى وقت، وكانت هى الأخـرى تحب سماعه وتطـرب لطريقتـه الفذة فى الأداء، وقـد أحيت أم كلثـوم حفل زواج ابنـــة محمـود نـدا، ورفضت أن تتقـاضـى أى أجر، ولســوء الحظ أن الشيخ أحمد ندا رفض بشـدة تسجيل القــرآن على اسطـوانـات لايليق أن تحمـل كـلام الله، لأن الناس تتـداولها وتحملها بأيد قذرة وتلقى بها أحيـانا على الأرض.. ولوسجل الشيخ بصوته العظيم بعض ســور القرآن الكريم لكسبنا الآن ثروة فنية عظيمة بلاجدال ـ رحمه الله عليه ـ .

هذا الفتى الأسمر النحيل الوسيـم الذى كان أول نجم يتلألأ فى دولة التـلاوة فى عصرنا الحديث، ابن حـارة التلول الـذى خرج من معطفـه كل النجوم الـزاهـرة التى أضاءت دولـة التـلاوة بنورهـا، وللعلم ان الشيخ أحمد ندا هـو جد الفنانـة شريفة فاضل والفنـانة سناء ندا.

وإذا كنا قد تعرضنا لنجوم دولـة التلاوة الذين ظهروا فى نهاية

القرن الماضى وعلى طول القرن العشرين.. فيجدر بنا أن نفتح ملف حضرات أصحاب الفضيلة مشايخ هذا الزمان الذين يحترفون التلاوة، وبعضهم يتقاضى فى ليلة واحدة أضعاف ماحصل عليه العبقرى محمد رفعت فى حياته كلها، ومع ذلك فليس بين الموجودين الآن إلا قارىء واحد تستطيع أن تضعه فى مصاف العباقرة، وإلى جانبه يوجد بعض الموهوبين، ثم لاشىء بعد ذلك سوى أصوات نحاسية وطرق أداء من نوع الهردبكش ثم مقلدين، والتقليد هو نوع من التزييف.

وهؤلاء المزيفون لايقل ضررهم عن ضرر اللحمة الفاسدة المستوردة، أو ضرر الشاى المخلوط ببرادة الحديد، العبقرى الوحيد الموجود على الساحة الآن هو الشيخ محمود الطبلاوى، وهى عبقرية لادخل له فيها لأن الصوت موهبة من عند الله، وقد وهبه الله أحبالا صوتية ليس لها نظير، وصفها العبقرى محمد عبدالوهاب بأنها معجزة، لأنها تؤدى النغمة المستحيلة، وقد سبق للعبدلله نشر هذا الكلام وعلى أوسع نطاق فى حياة العبقرى الراحل عبدالوهاب، وعبدالوهاب سميع قرآن نادر المثال، وعندما يقول عبدالوهاب مثل هذا الكلام فلابد أن نصدقه.

ولكن لأن الشيخ الطبلاوى ليس فيه كرم أحمد ندا، ولاتقوى الشيخ رفعت، ولاطيبة مصطفى إسماعيل، ولاكياسة الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، لذلك حاربه الجميع، وعقدوا حلفا ضده.

هل تصدقون أن أعظم قارىء، يعيش بيننا اليوم، موجود احتياطى فى التصنيف الذى وضعه عباقرة التليفزيون المصرى؟!

إن هؤلاء القتلة اشبه بمدرب كورة حمار أو صاحب غرض يضع محمود الخطيب على الدكة احتياطى ويضع على رأس التشكيل الكابتن حكشة والكابتن أبوسريع!! لأن الكابتن حكشة

إيده فرطة ، ولأن الكابتن حكشة اللى فى جيبه مش له!!

هل تعلمون أن التليفزيون لاينقل صلاة الجمعة من جامع الأزهر بسبب وجود الشيخ الطبلاوى قارىء السورة.. تصوروا!! إنها مأساة صدقونى أن يترك مثل هذا الأمر لبعض الجهلة أو بعض الأدعياء، فيحجبوا عنا أصحاب الأصوات الندية ويسلطوا علينا أصحاب الأصوات الخشبية، لالسبب إلا لسبب واحد.. اللى مامعهوش مايلزموش!!

والشيخ الطبلاوى بدأ حياته موظفا فى شركة ماتوسيان للدخان بالجيزة، وكانت وظيفته هى قراءة القرآن ورفع الأذان فى مسجد الشركة، وسرعان ماإشتهر أمره فى ربوع محافظة الجيزة، ولكنه لم يحقق الشهرة التى يستحقها لأنه عجز عن الوصول إلى أجهزة الأعلام، لأن الطريق إليها غير سالكة وغير مأمونة، وتحتاج إلى بهلوانات تجيد عملية القفز واللف والدوران، وهى أشياء لايجيدها الشيخ الطبلاوى.

كان السبب فى شهرته تلك التسجيلات التى سجلتها له شركة منتصر، والتى كان يتولى الاشراف الفنى عليها المرحوم الفنان مأمون الشناوى، والذى صرخ عند سماعه صوت الشيخ: هذا الشيخ سيكون هو قارىء الزمن الآتى!! وأدت هذه الأسطوانات إلى انفجار شهرة الشيخ كالبركان، وكانت السبب فى وصوله إلى أجهزة الاعلام فى مصر وخارجها.

وأذكر اننى لم أستمع إليه فى مصر فى بداية أمره، والذى لفت نظرى إليه هو الأستاذ الشاعر العراقى الكبير حميد سعيد الذى طلبنى ليعرف رأيى فى صوته. ولما أبديت جهلى به اندهش كثيرا، وقال معلقا: عندما اسمعه انفجر باكيا، وأضاف: إن صوته يحمل هموم وأحزان كل العرب القدامى والمحدثين، وبعدها قررت أن

أستمع إليه، وجـاءنى صوته فى الصبـاح الباكر عبر إذاعـة الكويت، ولم أبك كما فعل حميد سعيـد، ولكنى تأكدت أن مصر ولادة، وأنها رغم المحنة وغدر الزمان قادرة على العطاء.

هـذا صـوت يذكـرك بـالعبـاقرة الأوائل، منصـور بـدار، وعلى محمـود، ومحمـد رفعت ، والشعشـــاعى ، ومصطفى إسماعيل ، وعبدالباسط عبدالصمد، إنه حبـة من السبحة العظيمة، وهو لمبة فى الثـريـا البهيـة التى تجمع كل هـؤلاء، ويـاألف خســارة لأن العـد التنازلى بدأ بالنسبة له فهـو الآن فى الثانية والستين ومرض السكر بدأ يـداعبه، ولكنـه بالرغم من ذلك لايـزال الأوحد فى دنيـا التلاوة، ونرجـو أن يتدخل رئيس الـوزراء لدى عبـاقرة التليفـزيون لعلهم يفكون الحصـار الذى ضربوه حول الشيخ على أســاس أن الصوت النادر ملكية عامـة ومشاع لكل المصريين، ومن يحجبه عنهم يكون قد أتى أمرا من شـأنه الاضرار بمجموع الشعب المصرى، ويستحق العقاب الشديد!!


ألحان السماء
مأساة
الشيخ
عنتر

إذا كان صوت الشيخ الطبلاوى هو الصوت العبقرى الوحيد فى دولة التلاوة، هناك أصوات كثيرة موهوبة فى مقدمتها صوت الشيخ مصطفى غلوش. ولقد أخطأ الشيخ غلوش فى بداية حياته عندما نقل طريقة الشيخ مصطفى إسماعيل نقل مسطرة، وبالطبع كان الميزان فى صالح الشيخ مصطفى إسماعيل، ثم أدرك الشيخ غلوش بعد سنوات طويلة أنه أخطأ الطريق، ولكنه نجح فى الانفصال عن جاذبية الشيخ مصطفى إسماعيل، وأصبح له مدار خاص به، فصار واحدا من القراء الذين يشار إليهم بالبنان فى بلاط دولة التلاوة.

ولعل الشيخ مصطفى إسماعيل هو القارىء العبقرى الوحيد الذى قلده ٩٠٪ من قراء القرآن الكريم الذين جاءوا من بعده، والسبب أنه الوحيد أيضا الذى يؤدى السهل الممتنع، شأنه فى ذلك شأن بيرم التونسى فى الشعر العامى، وشأن سيد درويش فى الموسيقى، وشأن محمد التابعى فى الكتابة الصحفية.

وإذا كان التقليد مغفورا للموهومين من أشباه الفنانين، فهو أمر لايغتفر بالنسبة لأصحاب المواهب، ولاشك أن الشيخ غلوش واحد منهم! ويأتى بعد الشيخ غلوش الشيخ أحمد الزريقى، ويتمتع

بصوت موهوب وله شخصيــة، ولكنه للأسف الشديد ارتكب نفس الخطأ الـذى وقع فيه الشيخ غلـوش، فقـد بدأ حيـاته بـالسير على طريق الشيخ محمد صديق المنشـاوى، وبالرغم من أن التقليد كان واضحـا ومعيبا إلا أن الشيخ عبـدالبـاسط عبـدالصمد تحمس لـه كثيرا، ورشحــه كأعظم قـارئ بعـد جيل العمالقــة، ولم يكن هـذا صحيحـا على الاطـلاق، ولكنـه كـان مــوقفـا تكتيكيـا من الشيخ عبدالباسط عبدالصمد فرضته ظروف المنافسة وقواعد السوق.

وكما حدث فى عالم الأدب عندمـا رشح الدكتور يوسف إدريس الكاتب أحمد برعى خليفـة له فى مجال القصة القصيرة، وكما رشح حسين شفيق المصرى الزجال أبوبثينـة أميرا للزجالين، مع أن بيرم التونسى كـان حيا يرزق. ولكنــه كان منفيا خـارج مصر ومطاردا كالكلب المسعور، ولكنه الخوف. أحيانا والاسترزاق أحيانا، والطمع أغلب الأحيــان. ولم يلمع الشيخ الــرزيقى إلا بعــد أن تمكن من الافـلات خـارج المجـال الجوى للشيخ محمـد صـديق المنشــاوى وصارت له طريقته المستقلة، التى يتبعها فى الوقت الحاضر.

ويأتى بعــد هـؤلاء الشيـخ على حجـاج الســويسى، والشيخ عبدالعـاطى ناصف، وإن كنت لم أسمع الشيخ الســويسى إلا منذ سنوات قليلة مع انه تجاوز السبعين من عمـره المديد، وهى مسألة غـريبة للغـاية، ولأعـرف السر فى احتجـاب الشيخ كل هذا الـوقت الذى مضى، ولكنه دليل على أن المواهب الجيدة قد تختفى فى ظلال العبقريات العظيمة.

هناك أيضا من الجيل الصاعد قارئ شاب اسمه السروجى على ماأعتقد وهـو من منيا القمح، وقد استمعت إليه فى ذكـرى المرحوم وجيــه أبـاظـــة، وفى اعتقـادى أنــه يستطيع أن يشق طــريقــه إلى الصفوف الأمامية لو ابتعد عن الصياح الشديد، ولوتدرج بصوته من

القرار إلى الجواب إلى جواب الجواب بطريقة مدروسة، لأن الملاحظ أنه يبدأ وينتهى فى طبقة واحدة وهى جواب الجواب، وهناك مئات من القراء على الساحة اليوم، ولكنهم للأسف الشديد من طبقة «أحمد زى الحاج أحمد» ولافضل لأحدهم على أحد منهم إلا بالتقوى!

ولكن المأساة الحقيقية فى هذا العصر هى مأساة الشيخ مسلم عنتر ، فهو صاحب صوت جميل للغاية، وله طريقة فذة فى الأداء، واستطاع أن يفرض نفسه بموهبته على إذاعات العالم الاسلامى والعالم العربى، وكان صوته مادة ثابتة فى برامج الاذاعة الايرانية.

وبالرغم من أن الشيخ عنتر نشأ وترعرع فى مدينة شيخ العرب السيد البدوى، وهى المدينة التى خرج منها الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمد مجد والشيخ شقيق أبو شهبة وعشرات آخرون من الموهوبين.. إلا أن الشيخ مسلم عنتر كان أشبه بنبتة غريبة، واستطاع بموهبته وحدها أن ينمو دون دراسة ودون معرفة بعلم القراءات، ودون أن يتدرب على يد شيخ يلقنه أصول القراءة، كان صوته هو سلاحه الوحيد فى المعركة، وهو سلاح فعال بلا أدنى شك، ولكن الشيخ صاحب الصوت الجميل كان مجردا من التروس والدروع، وهى أدوات ضرورية إذا أراد المقاتل أن يواصل المعركة حتى النهاية.

هنا كانت مأساة الشيخ الذى تصور أن القراءة عملية اجتهادية لاتحتاج إلى ضوابط، وبالتأكيد لم يكن الشيخ مسلم عنتر يدرك أن دراسة علم القراءات ضرورية للقارىء..

وربما عرف من بعض محبيه أن رفعت كان يقرأ بالقراءات السبع ، وأن القراءات السبع تعنى أن يقرأ الآية الواحدة سبع مرات، كل مرة بطريقة مختلفة، لم يعرف الشيخ أن علم القراءات

يسمح للقــارىء بــالتصرف، ولكن فى حــدود مفــروضـــة، ولا يمكن تجاوزهــا أو الخروج عنها ، منهــا ـ مثــلا ـ أن القــارىء يستطيع قراءة الفاتحة على النحو الآتى:

بسم الله الـرحمن الـرحيـم . الحمـد لله رب العــالمين . الـرحمن الرحيم . (مالك) يوم الدين.

وباستطاعته أيضا أن يقـرأها على النحو التالى: بسم الله الرحمن الرحيم . الحمـد لله رب العالمين الـرحمن الرحيم (ملك) يـوم الدين. وعلى نفس الطريقــة يمكن قراءة (الأرض) ويمكن قـراءتها على نحو مختلف، على النحــو التالى: « ولَرْض » ولمن عقبى (الـدار) يمكن أن تتحول إلى: ولمن عقبى (الديـر)، ولكن الشيخ مسلم عنتر تصور أن القــارىء حر التصرف يستطيع أن يقـول مـايـريد وقت أن يشــاء وبالطريقة التى تروق له.

استمعت إليـه مرة يقـرأ بصوت جميل للغــاية هـذه الآية: ﴿إذ قال إبـراهيم رب اجعل هذا البلد آمنــا) ونطق (إبراهيم) مـرة نطقا سليما.. ﴿إبراهيم﴾ ثم أعــادها ﴿إبراهــام﴾ ثم أعادهــا ﴿براهيم﴾ ثم أعادها ﴿برهوم﴾. وهى قراءة خطأ بالطبع وليس لها أية علاقة بعلم القراءات.

ولم يستمع العبـد لله إلى صوت الشيخ إلا عنـد تواجـدى خارج مصر فى زمن الشتات والضياع، وعنـدما عدت إلى مصر اكتشفت أن الشيخ منع من القراءة وبقرار من الأزهر، وبالطبع كان الأزهر على حق.

ولكن العبد لله كـان يتمنى لو كان قـرار الأزهر تبعه قـرار آخر بـالعمل على تـدريب الشيخ وتأهيلـه على يـد أستــاذ كبير تمهيـدا لعـودته مـرة أخرى إلى ســاحــة التلاوة.. ولكن الأزهــر ـ لـلأسف الشديـد ـ منع الشيخ من القـراءة ولم يحاول أن يدله أو يســاعده على سلـوك الطـريق المستقيـم.. مع أن أشرطـة الشيخ مسلم عنتر

كانت تنافس أشرطة أحمد عدوية وحسن الأسمر فى ريف مصر وفى أحيائها الشعبية، كان يمكن أن نكسب قارئا عظيما وصاحب موهبة فذة، ولكننا لم نفعل ذلك ولم نحاول، وأذكر أننى قمت بمحاولة وأرسلت إليه للحضور إلى القاهرة أو السماح للعبد لله بلقائه فى طنطا، ولكن مرت عشر سنوات طويلة ولم أتلق منه جوابا حتى الآن، ويبدو أن الضربة كانت شديدة على الشيخ فلم يحتملها، ويبدو أنه آثر الاختفاء بعيدا عن الأنظار مؤمنا بأن ماجرى له هو قضاء الله وقدره، ولعله لم يدرك حتى الآن أنه هو نفسه السبب فى كل ماحل به!

وإذا كنا لم نتناول سيرة الشيخ أبو العينين شعيشع مع مجموعة المشايخ الذين يمارسون المهنة الآن، فالسبب أننا ذكرناه من قبل مع جيل العمالقة الذين ظهروا فى بدايات القرن، ولأن الشيخ شعيشع - مد الله فى عمره - كان زميلا للشيخ الشعشاعى والشيخ منصور الشامى الدمنهورى والشيخ محمود على البنا، وظهر قبل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ محمد صديق المنشاوى، ولأن السن لها أحكام، فالشيخ شعيشع لايمكن أن يخضع للمقارنة مع من يمارسون المهنة اليوم.

هناك أيضا بعض الخرافات التى يرددها بعض المتحمسين أو بعض الهواة من المستمعين، والعبد لله يتلقى بين الحين والآخر خطابات من الزقازيق وطنطا وبنى سويف والمنيا وشبين الكوم والاسكندرية والمنصورة وبورسعيد، خطابات يرسلها بعض المستمعين الطيبين وكل منهم يقسم بأغلظ الأيمان أنه يوجد بمدينته قارىء (مظلوم) لو واتته الفرصة فسيصبح خليفة للشيخ محمد رفعت أو الشيخ مصطفى إسماعيل، وهذه الخطابات التى أتلقاها هى غالبا من أقرباء الشيخ (المظلوم) أو من أصدقائه، أو من بعض أصحاب النوايا الطيبة الذين لايفرقون بين صوت الشيخ

محمد رفعت وصوت العبدالله والذين ينطبق عليهم المثل القائل «كله عند العرب صابون» وأقول لهؤلاء جميعا: كان يمكن أن تموت موهبة عظيمة لو ظهرت فى بداية القرن وحتى منتصفه.

ولكن ومنذ السبعينيات من هذا القرن لم تعد هناك حجة لصاحب موهبة فى عدم الظهور.

فقد كانت المنطقة العربية كلها وعلى امتداد رقعتها ليس فيها صوت مسموع إلا صوت إذاعة القاهرة، وصوت إذاعة الشرق الأدنى من حيفا، وصوت الإذاعة البريطانية فى لندن.

وكانت الإذاعة المصرية يعلو صوتها فى فترات قليلة من اليوم.. فترة صباحية ثم فترة بعد الظهر، ثم فترة مسائية وينتهى الإرسال فى الحادية عشرة مساء.

وكانت الإذاعة تبدأ برامجها بالقرآن الكريم وتختمها بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى فترة مدتها نصف ساعة ، من الساعة الثامنة إلى الثامنة والنصف مساء كل يوم، أما الآن فحدث ولا حرج.. إذاعة رأس الخيمة وإذاعة أم القوين وإذاعة الفجيرة وإذاعة الشارقة وإذاعة دبى وإذاعة أبو ظبى.. ست إذاعات رئيسية فى دولة الإمارات بعضها له عشر شبكات، وإذاعة عمان فى دولة مسقط وإذاعة الدوحة من قطر وإذاعة البحرين وإذاعة الكويت، وفى السعودية شبكة إذاعية تغطى الكرة الأرضية كلها.

وفى العراق إذاعة بغداد وإذاعة صوت الجماهير الموجهة للعالم العربى.

وفى سوريا نفس الشىء.. وفى لبنان إذاعة رسمية وعشرون إذاعة أهلية.. وفى الأردن شبكة إذاعية قوية وإذاعة فلسطين بالإضافة إلى عشرات الموجات من القاهرة.. بالإضافة إلى الإذاعة المتخصصة وهى إذاعة القرآن الكريم.

ثم اذهب إلى المغرب العربى لتجد إذاعة ليبيا وإذاعة البحر

الأبيض وإذاعة صوت الشعب والإذاعة العربية من مالطا، وقل نفس الشيء عن تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا.. هذا عدا اليمن والسودان وإريتريا وجزر القمر والصومال، ثم عندك بعد ذلك إذاعات العالم الإسلامى، من أندونيسيا إلى البوسنة وجمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، ثم خذ عندك بعد ذلك البرنامج العربى فى الإذاعة البريطانية وإذاعة مونت كارلو، وإذاعة الشرق من باريس أيضا، والإذاعة العربية فى هولندا، وخمس إذاعات عربية فى الولايات المتحدة، وعشر إذاعات عربية فى أمريكا اللاتينية. وإذاعة عربية قوية فى استراليا.

وأستطيع أن أعد لك مائة إذاعة أخرى منها على سبيل المثال الإذاعة العربية من كالادونيا وهى جزيرة وسط المحيط الهادى، نفى إليها الثوار الجزائريون بعد اجتياح فرنسا للجزائر.

بالإضافة إلى محطات التليفزيون التى بلغت ١٠٠ محطة فى العالم العربى منها ٦محطات فى دبى وحدها و٤ فى أبو ظبى ومحطة تليفزيون قوية فى الشارقة، ثم هناك محطات الفضائية من أول محطات الشيخ صالح كامل إلى محطات الشيخ عبده كامل ومحطات الشيخ أحمد كامل إلى آخر عائلة كامل التى سيطرت على الموجات الفضائية، وهى الأخرى تذيع القرآن الكريم أحيانا وتستعين بأصوات تحتاج إلى بلاغ للشرطة لكى تنقذ المشاهدين من أصواتهم التى تشبه صوت ساقية خربانة.

ولك ــ عزيزى القارىء ـ أن تحسب كم عدد القراء اللازمين لملء كل هذه الساعات من الإرسال فى الإذاعة والتليفزيون.

لا أقول كم عدد الأصوات الموهوبة التى تحتاجها كل هذه الموجات والشبكات فى الكرة الأرضية؟

ولكنى أقول كم عدد الأصوات نصف الموهوبة أو حتى ربع

الموهوبة أو حتى خمس الموهوبة التى نحتاجها فى الوقت الحاضر؟

العبد لله تعرف على نصاب مصرى ظريف نصب نفسه رئيسا للفلاحين بالعراق، ثم افتتح لنفسه محلا للجزارة وفرض إتاوات على الفلاحين المصريين هناك، ولما طرده العراقيون هناك نتيجة الشكاوى المتعددة فى حقه اضطر إلى النزوح إلى الكويت، وبعد فترة شاهدته على شاشة التليفزيون الكويتى يؤدى التواشيح الدينية ويرتدى زى المشايخ ويغطى قبح صوته وعدم إلمامه بأبسط قواعد هذا الفن بالبكاء الشديد.

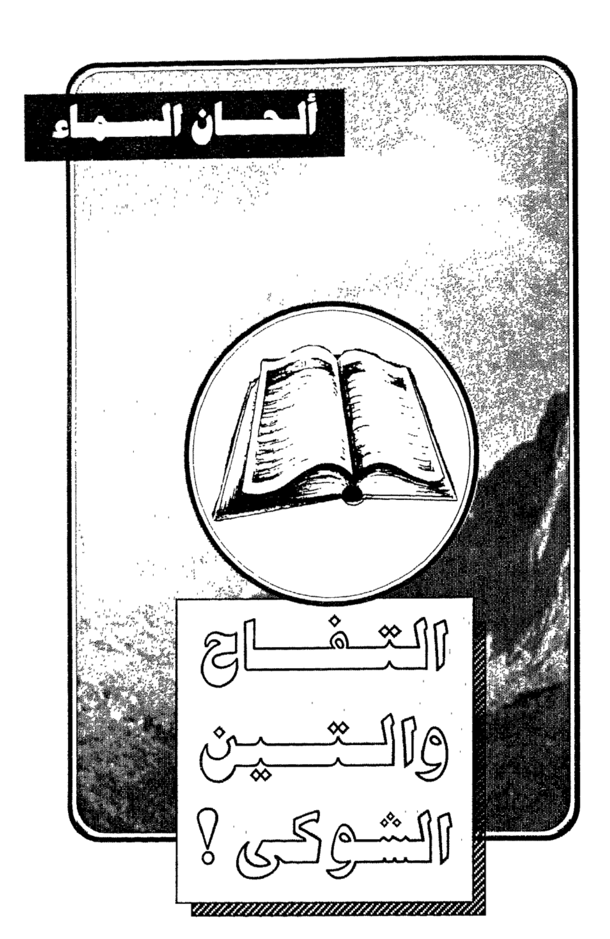
وأغرب شىء هو أن بعض المسنين من أهل الكويت كانوا يبكون معه ظناً منهم أنه يبكى من شدة الورع والتقوى!

وإذا كان النصاب الظريف قد وصل إلى أحد أجهزة التليفزيون فهل يمكن أن تكون موهبة عظيمة موجودة بيننا ثم لايسمح لها بالظهور؟

العبد لله يقول لأى طيب أو ساذج أو موهوم: دلنى على واحد شبه موهوب، وأنا أضمن له الشهرة والمجد والرزق الحلال الوفير، هذه هى الحقيقة.. أيها السادة: لقد أصاب البوار حقل المواهب فى هذا المجال الذى كان خصبا فى الماضى وكنا نشكو من وفرة إنتاجه، ثم أصبحنا نشكو الآن من خرابه، ومن انتشار البوم والغربان.

ونسأل الله الستر والصبر والقدرة على احتمال بعض الأصوات التى تفرض علينا الآن لأسباب بعضها مجهول وبعضها معروف للجميع.

واللهم عفوك ورضاك يارب.


ألحان السماء
التفاح
والتين
الشوكى !

فى هذا الفصل نـذكر المشـايخ الذين رتلـوا كتاب اللـه فى العصر الحديث ، مـن أول الشيخ أحمد نـدا، إلى الشيخ فؤاد محجوب ، آخـر طبقة ظهرت فى دولة التلاوة، وإذا كنا قـد تعرضنا للعباقـرة والموهوبين، فسيكـون حديثنـا هنا عن المقلـدين، وعندمـا يغيب العبـاقـــرة والموهـوبـون ، يحتل المقلـــدون مكـان الصدارة،وأبـرز مثال على هؤلاء الدكتـور نعينع، إنه صـورة طبق الأصل مـن الشيخ مصطفى اسماعيل، ولكن ما أبعد الفرق بين الصورة والأصل.

وإذا كان صـوت مصطفى اسماعيل من معـدن الذهب الـرنان، فصـوت الشيخ نعينـع من معـدن الألمونيـوم، ولكـن بسبب غيـاب العباقـرة ـ وعدم وجـود سميعة من بتـوع زمان ـ احتل الـدكتور نعينع مكان الصـدارة، وأصبح القارىء الـرسمى للدولـة ، مع أنه يأتى فى الترتيب بعد عشرات من الأحياء، فالشيخ محمد بدر حسين يفضله بالتأكيد، ولكن لأنه الدكتور ولأنه يرتدى البدلة أصبح أثيرا لـدى المصالح الحكـوميـة، على أساس أن لقـب الدكتـور أصبح فى الزمن الحاضر زينة.. ويخلق ما لاتعلمـون، وعلى الرغم من التكريم الحكـومى والحفـاوة الرسميـة، إلا أنك ستجهـد نفسك لاكتشـاف شخصية القارىء إذا فتحت الراديو فجـأة وكان الدكتور نعينع هو

القــارىء فستظـن فى البــدايـــة أنك تستمـع إلى الشيخ مصطفى اسماعيل، وفى الآية التاليـة سيخيل إليك أنك تستمع إلى الشيخ طه الفشنى، ولـن تستطيع اكتشـــاف الاسم الحقيقـى إلا إذا انتهت التلاوة وأعلن المذيع اسم القارىء.

والسبب ان التقليد لايضع بصمـة ولايترك أثرا، ولـذلك سيدوخ دوخة الأرملة كل من يحاول أن يميـز الفروق بين فلان وعلان من الســادة الـذين يحترفـون التـلاوة هـذه الأيـام، لأن كل الأصـوات الجديـدة نسخ مكـررة، وأصحـــابها مقلـــدون وليس لهم سكك مختلفة، ولكنهـم جاءوا جميعا مـن طريق واحـد وساروا على درب واحد.

وزمان... كـان لكل صوت سمـة خاصـة وملامح مميـزة، وكل قارىء كان لـه لون وله طعم، وكانوا مثل الأشجـار المثمرة فى جنة فواكـه، فإذا كان صـوت الشيخ محمد رفعـت هو التفاح، فـالشيخ مصطفى اسماعيل هـــو العنب البنـــاتى، والشيـخ عبـــدالفتـــاح الشعشاعى هو الرمان، والشيخ عبـدالباسط عبدالصمد هو الخوخ، والشيخ الحصرى هــو الجوافـة، والشيـخ المنشـاوى هـــو البلح الزغلـول، والشيخ عبدالعظيم زاهـر هو الكمثـرى، والشيخ محمود على البنا هـو البطيخ الشلين، والشيخ محمد صديق المنشـاوى هو التين البرشومى، والشيخ محمود عبدالحكم هو الموز المغربى.

تعالوا الآن نتشمم رائحة الموجودين على الساحة، فسنجد أنهم جميعا لهم رائحـة النبق والدوم والجميـز والتين الشوكى، بعضهم بدأ بـداية طيبـة مثل الشيخ عبدالواحـد زكى، ثم أصابتـه العدوى فأصبح كـالآخـرين، وســار على درب الشيخ هــاشم هيبـة، وهـو اختيار غريب للغاية، لأن الشيخ هاشم هيبة نفسه ليس من الطبقة الأولى فى دولة القـراء، ولأن التقليد صـار هو الأصـل الآن، فستجد

أن دولة التلاوة انقسمت إلى قبائل وإلى عشائر، هناك عشرة قراء على الأقل يقلدون الشيخ الطبلاوى، منهم القارىء فؤاد محجوب والقارىء نجيب شحاتة والقارىء أسامة أبو النور والقارىء شريف محمد والقارىء عبدالحليم دراز.

وهناك عشرة قراء على الأقل يقلدون الشيخ محمد صديق المنشاوى، أشهرهم هو صلاح شمس الدين ومحمود أبو الوفا الصعيدى، وهناك أكثر من عشرة قراء يقلدون الشيخ مصطفى اسماعيل، أشهرهم طبعا الدكتور نعينع والشيخ فتحى المليجى، وهناك الكثيرون يقلدون الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، أشهرهم الشيخ محمد البحيرى، وهناك الشيخ صلاح يوسف الذى يقلد الشيخ عبدالعزيز على فرج، وهناك المبتهل الشاب الشيخ البساتينى الذى يحاول السير على طريق الشيخ النقشبندى.

وكنت أتمنى أن يمنحنى الله القوة والصحة لكى اتتبع واتعقب كل السادة الذين يحترفون هذه المهنة فى الوقت الحاضر، ولكنى اكتشفت اننى لا أستطيع القيام بهذه المهمة بعد أن وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا، ولم تعد أعصابى تحتمل كل هذه الأصوات النحاسية التى أصابت أذنى الوسطى، فصرت أترنح أحيانا وأسقط على الأرض أحيانا كلما استمعت إلى صوت من هذه الأصوات التى ينطبق عليها ذلك الهتاف الشهير لعمدة الفن المصرى مولانا يوسف بك وهبى، والذى كان يهتف به فى المواقف الصعبة وفى الحالات الحرجة، وهو هتاف يا للهول!

وقد يسأل سائل.. وما العمل؟ هل نسكت؟ هل نيأس؟ هل نصبر على ما ابتلتنا به الأيام؟ وأجيب.. لا، لانسكت ولانيأس، ولكن هناك حلولا كثيرة، أهمها تعديل النظام المعمول به فى اختيار الأصوات الجديدة فى الإذاعة والتليفزيون، وأول إجراء يجب اتخاذه

هو إلغاء لجنة الاستماع المكونة من فضيلة الشيخ برانق والشيخ حبة وغيرهما، وأن نضم إلى لجنة الاستماع إلى جانب أصحاب الفضيلة المشايخ بعض السادة الذي نثق فى حسن استماعهم وفى عدالة أحكامهم. وأرشح لهذه المهمة الشيخ أبو العينين شعيشع، فهو من الرائحة الزكية القديمة، وهو خبير فى علوم وفنون القراءات، وهو الذى حكم منذ سنوات بإفلاس دولة التلاوة من الأصوات الجديدة الجميلة. وأرشح أيضا سميعا قديما وعظيما وخبيرا وأستاذا فى فن الموسيقى والألحان والمقامات، وهو الناقد الفنى الكبير الأستاذ كمال النجمى والعبد لله واثق من أن أية لجنة تضم مثل هؤلاء الثلاثة ستكون قادرة على اختيار الأفضل والأحسن، وبشرط أن يعرض عليها كل الأصوات التى تذاع الآن فى الإذاعة والتليفزيون.

وهناك اقتراح آخر أرجو أن يبحثه الوزير صفوت الشريف لأنه كفيل برفع مستوى الغناء والموسيقى والإنشاد الدينى، وحتى التلاوة. بأن يستثنى شرط سن المعاش بالنسبة لمن يتولى منصب مدير الاستماع فى الإذاعة. لأن الأمور أخذت طريقها إلى الانحدار بعد محمد حسن الشجاعى ومدحت عاصم. ولابد أن نعهد بهذه المهمة إلى خبير حقيقى، وليس إلى موظف حكومى بدرجة مدير، وأرشح لهذه المهمة فى الوقت الحاضر المؤرخ والناقد الموسيقى العظيم محمود كامل.

إن مصر تستحق أن تكون موسيقاها أرفع مما هى عليه الآن، وأن تكون فنونها كلها أروع مما هى عليه الآن، وعيب أن ينحدر فن التلاوة عندنا إلى هذا السفح الذى وصل إليه، وعيب أن نلجأ إلى تقليد بعض المدارس الغربية على فننا، عيب أن يلجأ بعض المنشدين وبعض القراء إلى هذا الطريق، فمصر هى التى أنجبت

الشيخ أحمد ندا والشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود والشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ الشعشاعى والشيخ زاهر والشيخ عبدالباسط عبدالصمد .

وحبذا لو اهتممنا كثيرا بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، فهى المنبع الذى يمدنا بالقراء والمبتهلين، لأن هذه المدارس هى التى حلت محل الكتاتيب القديمة، التى كان لها أعظم الفضل فى الحفاظ على استمرارية الفن العظيم، فن التلاوة والابتهالات .

وفى النهاية ينبغى ألا ننسى سببا آخر فى سقوط الفن وانهياره، هو انتشار هذه الشركات التى لا أصل لها ولافصل، والتى تنتج أشرطة التسجيل، والتى انتشرت كالوباء فى سيارات الأجرة، والعبد لله يرى مكافحة هذه التسجيلات والقبض على أصحاب هذه الشركات، التى يمتلكها ويديرها عينات من البشر، أغلبهم بلا صنعة، وليس لهم أدنى صلة بالذوق أو بالفن، والتى أساءت إلى شعب مصر وإلى تراثه المجيد وتاريخه العريق.

وبعد .. أرجو مخلصا أن يكون التوفيق قد حالفنا فى عرض وجهة نظرنا، وأن يكون الصواب حليفنا فيما عرضنا عليكم. وأرجو.. إذا كنا قد أسأنا التعبير أن يسامحنا الذين أسأنا إليهم والذين أحسنا إليهم أيضا، إذا نسينا أو أخطأنا، فلم يكن لنا هدف إلا التعبير عما نحسه ونشعر به، ولم يكن لنا هدف إلا النهوض بهذا الفن والعودة به إلى عهوده الزاهرة، ولم نفعل سوى الاجتهاد، وفى ديننا الحنيف، وللمجتهد المخطىء أجر وللمجتهد المحسن أجران ..نسأل الله أن نكون من أصحاب الأجرين، ونشكر الله إذا كنا من أصحاب الأجر الواحد!

رســالــة :

يحيى عاصم

YAHYA ASSIM

ALVEN PALACE HOTEL

R JACOB RICHLIN 208

JOINVILLE - S.C.

BRAZIL

٧ أكتوبر ١٩٩٥

« الشيخ «محمود السعدنى»

الويل لك ثم الويل لك، وعفا الله عنك.إذ كيف سولت لك نفسك الأمارة بالحسنى والجمال، ان تتجاهل ـ وانت الخبير بشئون التلاوات والتالين وألحان السماء قارئا عملاقا لا يضاهيه قارىء فى حلاوة صوته. لا من قبل ولا من بعد، ذلك هو الشيخ الكامل: كامل يوسف البهتيمى.

كيف يجوز لذواقه وسمِّيع مثلك أن تصدر منه هذه الفعلة؟ فى حين أنك تحشر الشعشاعى والحصرى بين العمالقة، وهما ليسا من العمالقة فى شىء، إلا إذا كانت «العملقة» تعنى ضخامة الجسم أو صوتا خشنا، وهذا شىء وحلاوة الصوت ولذة الألحان شىء آخر.

وإنقاذا للموقف الذى وضعت نفسك فيه بتجاهلك الشيخ البهتيمى، ما عليك إلا أن تحدثنا فى مقال قادم عن شيخنا هذا، أصله ونشأته، إلى أن وافته المنية فى أحد مساجد القاهرة وهو قائم

يصلى ويتلو إلى جانب زميله العملاق الآخر محمد صديق المنشاوى.

فهل انت فاعل ذلك؟

الشيخ مصطفى اسماعيل والآخرون:

إذا كان لكل من الشيوخ القراء : محمد رفعت، والبهتيمى والمنشاوى وشعيشع وآخرين أسلوبه الخاص، فذلك الأسلوب إنما هو أسلوب واحد لا غير. أسلوب جميل ولكنه أسلوب واحد ووتيرة واحدة.

أما مصطفى اسماعيل فقد كان مجموعة كبيرة من الأساليب، وكان متمكنا من الألحان والأنغام إلى حد لم يضاهه أحد فيه. وكان يتلاعب فى الألحان والأنغام كما تتلاعب أنت بالكلمات والجمل فى كتاباتك الساحرة الساخرة، وكما كان يفعل أخ لك من قبل اسمه «برنارد شو».

وقد سألت أنا ذات يوم عملاقا آخر فى ميدان آخر ذا صلة وثقى بألحان السماء عن أحسن قارىء فكان جوابه: مصطفى اسماعيل، ومافيش غيره. هذا ما قاله لى محمد عبدالوهاب، مطرب الملوك والأمراء والصعاليك والغلابة.. فى كل مكان.

أشيخ أم شيخان ؟

على أن الشيخ مصطفى اسماعيل لم يكن شيخا واحدا كسائر القراء بل كان شيخين اثنين.

أما مصطفى اسماعيل الشيخ الأول فهو الذى نستمع إلى تلاوته فى الاذاعات خمس دقائق أحيانا، وثلاثين دقيقة أحيانا أخرى.

وهو فى هذه التسجيلات المذاعة لا يختلف عن القراء الباقين. فهو قارىء عادى، بل هو فى هذا دون البهتيمى وشعيشع والمنشاوى، وهؤلاء جميعا أجمل منه صوتا.

أما الشيخ الثـانى، القارىء العمـلاق، بل عملاق العمالقـة فهو مصطفى إسماعيل فى الحفـلات الدينيـة التى تقـام فى القصـور والمساجـد.. هناك يكـون الإبداع.. وهنـاك تعلو أصـوات السامعين والسامعـات إكبارا وإجلالا وطربـا وخشوعا وذهولا، هنـاك فى هذه الحفـلات ينقل شيخنـا مصطفى إسماعيل سـامعيـه من عـالم إلى عالم.

هكذا كان مصطفى إسماعيل منذ «رمضـانيات» قصر عابدين فى دولـة «فـاروق» وظل كـذلك فى دولـة عبـدالنـاصر ثـم فى دولـة السادات.. إلى أن قضى نحبه فى دولة مبارك.

وكنت ذات يـوم أزور الشيخ مصطفـى إسماعيل فى شقتـه بـالـزمالـك فسألته عـن سر الفرق بين التسجيـلات المذاعـة وبين الحفـلات الكبرى ؟ فكان جـوابـه: فى الحفـلات الوقت أطـول، وفى الحفلات تجاوب بينه وبين جمهور السامعين، بل الجماهير الغفيرة من سامعين وسـامعات ليس من المحيط إلى الخليج فحسب.. بل فى كل بلد مسلم، إيران وتركيا والباكستان حتى أندونيسيا.

ومصطفى إسماعيل بـالنسبـة لمن عـاصروه من القـراء كـان كبيرهم الـذى علمهم السحـر، سـحر التـلاوة والقـراءة تجويـدا وترتيلا.

وقـد حـاول الكثيرون أن يقلـدوه ولكنهم فشلـوا ،لأن مصطفى إسماعيل كان فى تلاوته ـ كما قلت أنت بحق ـ سهلا ممتنعا.

وحـاولت مـرة أن أعـرف من الشيخ مصطفى عمن يعجبـه من المطربين والمطربات، فاكتفى بالقول: واحدة وواحد.

أما الـواحدة فهى بالطبع «أم كلثـوم» وأما الواحد فهـو «صالح عبدالحى».

ويبدو لى ولكثير من عشاق التلاوة.. أن الشيخ مصطفى إسماعيل قد تأثر إلى حد كبير فى أسلوب تلاوته بـ «صالح عبدالحى» صاحب «الموالات» و«الليالى» والقصائد الشهيرة.. والتى سار على أسلوبه الكثيرون حتى يومنا هذا.

محمود السعدنى والمرأة:

ليس فى كتاباتك ياشيخنا يامحمود، مايشير أو يشم منه رائحة عدائك للمرأة .. ولكنك مع ذلك ، وسامحك الله ، تجاهلت السيدة الأولى بل السيدة الوحيدة التى سجلت بصوتها الجميل آيات من «سورة محمد» فكانت أول قارئة مصرية والقارئة الوحيدة التى عرفتها أسطوانات تلك الأيام، وكان ذلك فى أوائل القرن الحالى.

ألم تسمع بها ياأستاذ محمود؟ وكيف لمثلك ألا يسمع بالشيخة «سكينة حسن» فلماذا إذن لم تتطرق إليها فى أحاديثك عن القراء والتالين.. لماذا؟

تجاهلت أجمل صوت بين القراء الذين قضوا نحبهم والذين هم ينتظرون، ذلك هو صوت البهتيمى.

ثم تجاهلت القارئة الأولى والقارئة الوحيدة «شيخة سكينة حسن» فهل لك الآن أن تحدثنا عنها، كما ستحدثنا عن كامل يوسف البهتيمى وإن اتسع لك المقام والمقال فحدثنا عن «صالح عبدالحى» كذلك.

وأخيرا ، سلام عليك يوم ولدت ويوم تموت بعد عمر مديد.. ويوم تبعث حيا ، ونعوذ بالله من شر ذلك اليوم المستطير الذى ستعود فيه حيا ، كتابك بشمالك وقلمك الساخر بيمينك!

أو ليست الحياة كلها سخرية فى سخـرية؟ ألسنا جميعا يسخر بعضنا من بعض؟

وأخيرا مرة أخرى، رسالتى هذه تحية لك.

أسترد على تحيتى هـذه بأحسـن منهـا أو مثلهـا؟ أو على الأقل بأقل منها؟

يحيى عاصـم

كاتب سـابق

وقارىء لاحق

وتلك الأيـام نـداولها بين النـاس وبين الكتـاب والقـراء والمقرئين.

يحيى عاصم

YAHYA ASSIM

ALVEN PALACE HOTEL

R. JACOB RICHLIN 208

JOINVILLE - S.C.'

BRAZIL

رقم الإيداع ١٠٩٨٩ / ٩٥

الترقيم الدولى I. S. B. N

977 - 08 - 0269 - 7

وزارة الثقافة — الهيئة المصرية العامة للكتاب



هيئة الكتاب

بيت الثقافة لكل قارىء مصرى وعربى

فيهـا كتـب قيّمـة

إن خدمة القـارىء والمثقف والباحث وتيسير إحتياجاته الثقافية من الكتب والمراجع يعتبر هدفا رئيسيا لهيئة الكتاب التى تحرص على أن تقدم لهم الكتاب فى أحسن شكل من حيث الاخراج والطباعة والمضمون الذى هو فى متناول الجميع ومن أجل ذلك تدور مطابع هيئة الكتاب ليصل الى القارىء المصرى والعربى الكتب القيمة التى يتوالى أصدارها لتثرى مجال الثقافة فى مصر والعالم العربى ومن الاصدارات الجديدة





هذه صفحة مفعمة بالحياة لأحوال مصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بل والسياسية فى منتصف القرن التاسع عشر، يزيد من قيمتها أن كاتبها ليس شخص عادى، وانما رحالة عالم طبقت شهرته الآفاق هو الايرلندى ريتشارد بيرتون الذى زار مصر فى عصون سنة ١٨٥٣ أى فى أواخر عهد عباس باشا الأول (١٨٤٨ — ١٨٥٤) وكانت مصر يومئذ تمر بمرحلة انتقال خطيرة كان لها ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

وفى الجزء الثالث والأخير من رحلته يعرض لزيارته لمكة المكرمة والطريق اليها ولمناسك الحج وللعادات والتقاليد وما الى ذلك

يحتل تولستوى ودوستويفسكى مكانة رفيعة فى دورة الرواية الطويلة باجماع أهل الرأى من المهتمين بتراث الأدب والفكر وشخصيتهما جديرة بالبحث، وتكريمهما زاخر بالسنوات التى كان من بينها ثورة الثورة البلشفية وما تعرضت له روسيا من آثارها وقد حظى هذا الكتاب بالكثير من ثناء النقاد وترجم الى عدة لغات أجنبية وأعيد طبعه عدة مرات

تولستوى (ليون) ١٨٢٨ - ١٩١

صورة الغلاف - من رسم جوردون دوسى

هذا الكتاب

— هو باكورة الكتب التى تصدر تحت اشراف الاتحاد المصرى للشطرنج

— وهو يهتم أساسا بالناشئين الملمين بالقواعد الأولية للشطرنج وكذلك الكبار من محبى اللعبة، ويخطو بهم فى طريق اكتمال وتنمية قدراتهم فى التعامل مع المراحل المختلفة للمباراة على أسس علمية

وقد اعتمد فى أسلوبه على البساطة والوضوح وكذلك الشرح الوافى لكل مهارة من المهارات والتأكد من حسن استيعابها وفهمها بتوضيح الأمثلة والنماذج المحلولة ثم يتبعها باختبارات عديدة



هذا الكتاب الذى بين يديك، والذى به تخطو الى (عالم البناء)، تسلحا بمبادئه وأصول أساسات علومه هو ضرورة، لكى تسهم معنا فى توعية المواطنين بحقهم فى مأوى آمن، لا يخافون من سقوطه على رؤوسهم بسبب تحسس أو جهل أو خطأ جسيم متعمد فيراقب كل مساء مايدور حوله، واذا رأى خطأ أو لمح خطيئة، سارع بإبلاغ الجهات المسئولة، لتدرك الخطأ قبل أن يستفحل وتوقف الخطيئة قبل أن يكتمل نموها

السلسلة	الكتاب	اسم المؤلف
اشراقات ادبية	مقام الخوف	عزة بدير
اشراقات ادبية	طرقات فوق ابواب الزمن	عبدالحميد عيسى غازى
اشراقات ادبية	رحلة خارج الأفق	احمد عبدالحفيظ
اشراقات ادبية	لا أسميك	أمل جمال
العلم والحياة	انهيار المبانى	م. جرجس حلمى
العلم والحياة	أسلحة الدمار الشامل (١)	د. جمال الدين محمد
العلم والحياة	أسلحة الدمار الشامل (٢)	د. جمال الدين محمد
العلم والحياة	النقل الجوى فى مصر (١)	سراج الدين محمد
الألف كتاب	بين تولستوى ودوستويفسكى (٢)	د. أحمد حمدى محمود
الألف كتاب	رحلة بيرتون (٣)	د. عبدالرحمن الشيخ
الألف كتاب	فن الفرجة على الأفلام	وداد عبدالله
الألف كتاب	السيناريو فى السينما الفرنسية	دليلة سى العربى
الألف كتاب	خفايا نظام النجم الأمريكى	حليم طوسون
مؤلفات	عنترة / حكاوى الزمان / د زعتر (٢)	يسرى الجندى
مؤلفات	صفحات من حياة / الناس الأكابر (٥)	يوسف جوهر
اعمال كاملة	كلمات فى المدينة / لاتسقنى (٧)	سعد مكاوى
مسرح عربى	التماثيل تنتحر	فورية مهران
مسرح عربى	الغجرى بفبقان سليط اللسان	بهيج اسماعيل
مصر النهضة	مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين	د. الهام محمد ذهنى
مختارات فصول خاصة	بقع القلب	عبدالمنعم الباز
خاصة	شعر ومكاشفة	محمد الشماع
خاصة	المفهوم السياسى لليهود (١)	سفير / د. حسين شريف
خاصة	رحلات جيولوجية فى صحراء مصر	د. محمد فتحى عوض الله
خاصة	الأبعاد الاقتصادية لأزمة السينما	ناصر جلال حسنين
خاصة	الاعلام والمجتمع	مغازى زين عوض الله
خاصة	الشطرنج الحديث	د عصام أحمد لطفى

اصدارات هيئة الكتاب ثقافة رفيعة بأسعار رمزية

هذا الكتاب

■■ فى هذا الكتاب تحول محمود السعدنى من كاتب ساخر يهتم بأمور الدنيا إلي شيخ معمم يهتم بأمور الدين..!!

وكما يقول الشيخ متولى الشعراوى فى تقديمه لهذا الكتاب.. « فالكاتب العزيز الأستاذ محمود السعدنى الذى طوف بأدبه وفكره ما طوف .. وأثرى المكتبة الأدبية والسياسية بما خلف ، أهل لأن يجعل الله لدينه نصيبا من أدبه وحظا من قلمه.. »

ومن يعرف محمود السعدنى جيدا لا يندهش إن اتجه بقلمه ليكتب عن قراء القرآن الكريم، فهو من هواة الاستماع لهم منذ شبابه الباكر.. وكان يشكل ثنائيا مع المرحوم الفنان صلاح منصور فى تعقب هؤلاء القراء العظام أمثال الشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ عبد العظيم زاهر وغيرهم.. وفى سبيل هذه الهواية تعرضا للضرب فى بعض المواقف التى ذكرها السعدنى علي صفحات هذا الكتاب..!

ويقول الشيخ الشعراوى : « إن هذه الكتيبة من القراء الذين شدوا بألحان السماء.. وبتأليف الله لهم.. لم يكونوا مكررين.. لا اداء.. ولا صوتا.. ولا لحنا.. بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص ».

ويبدو أن الشيخ محمود السعدنى عازم على مواصلة كتاباته الدينية بأسلوبه المتميز.. فهو يعكف حاليا على إصدار كتاب جديد عن سيد الخلق وأكرم الناس سيدنا محمد بن عبد الله.. وسوف ينشر فى سلسلة « كتاب اليوم » فور الانتهاء منه. ■■

نبيل اباظة